الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة عمار ثليجي – الأغواط

كلية : الآداب و اللغات
قسم : اللغة والأدب العربي

مذكـرة ماستـر

تقديم الطالبة : هاجر بن قطاس
ميدان : اللغة والأدب العربي
شعبــة : الدراسات الأدبية
تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

الرحلة الجزائرية لمحمد الخضر حسين الجزائري

مقاربة وصفية تحليلية

أعضاء اللجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة	الصفة
د– سليم حفاصي	– أستاذ مساعد – أ–	– رئيسا
د – أبو بكر مرزوق	– أستاذ محاضر – أ–	– مشرفا و مقررا
د– عبد القادر معمري	– أستاذ مساعد – ب–	– مناقشا

السنة الجامعية : 2017 / 2018 م

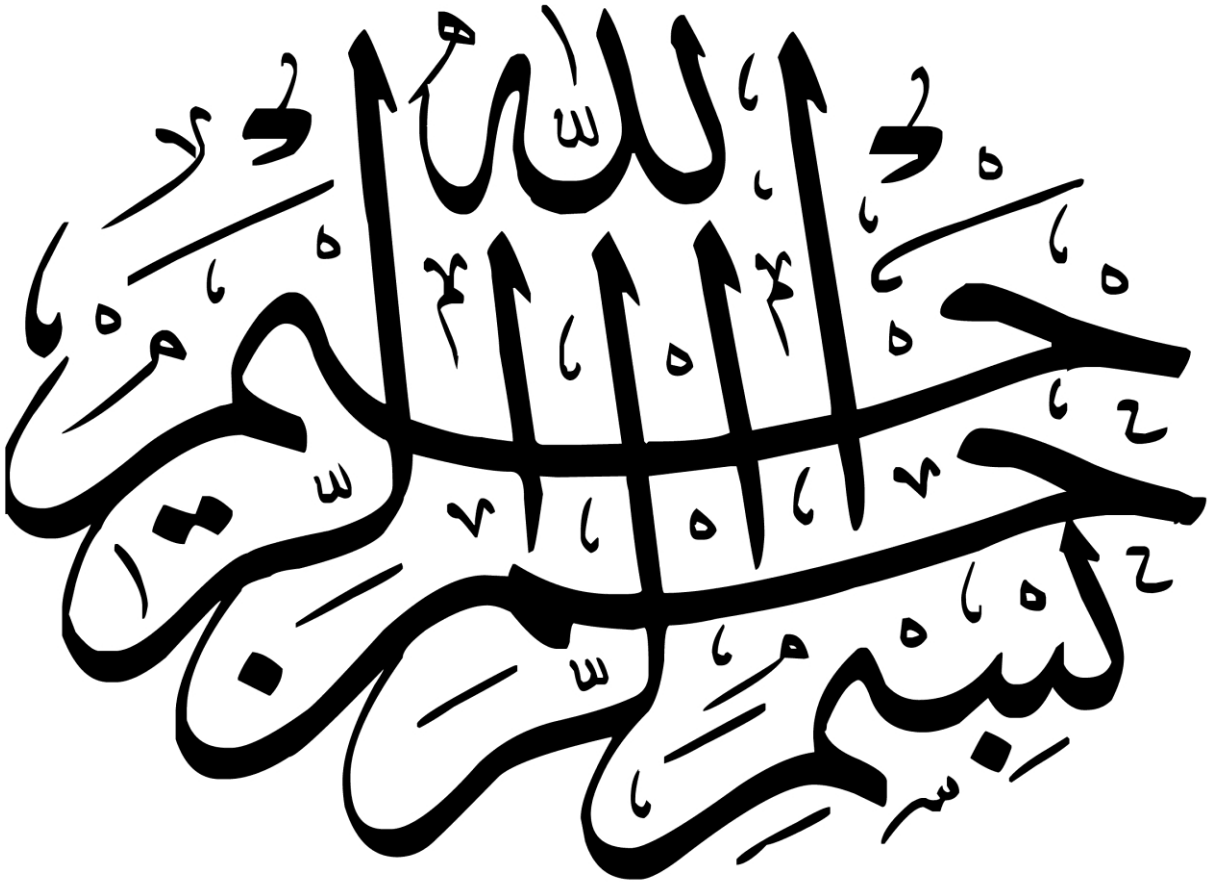
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

قال الله تعالى :﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾الآية 07 سورة إبراهيم

بعد رحلة بحث و جهد و اجتهاد تكللت بإنجاز هذا البحث ، نحمد الله عز وجل على نعمه التي أنعم بها علينا فهو العلي القدير، كما لا يسعني إلا أن أخص بأسمى عبارات الشكر و التقدير للأستاذ أبي بكر مرزوق لما قدمه لي من جهد و نصح و معرفة طيلة انجاز هذا البحث.

إلى من زرعوا التفاؤل في دربي وقدموا لي المساعدات والتسهيلات و المعلومات، وأخص منهم الأستاذ علي الرضا الحسيني الذي

أسهم بشكل وفير في تشجيعي .

لكل هؤلاء ألف شكر

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

صدق الله العظيم

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة .. ونصح الأمة ..إلى نبي الرحمة ونور العالمين "سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم".

إلى من كله الله بالهيبة والوقار إلى من علمني العطاء بدون انتظار إلى من أحمل اسمه بكل افتخار والدي العزيز.

إلى التي رأني قلبها قبل عيناها وحضنتني أحشاؤها قبل يداها إلى من كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي أمي الحبيبة .

وإلى كل إخوتي، *وكل من ذكرهم قلبي و نساهم قلمي* .

هاجر

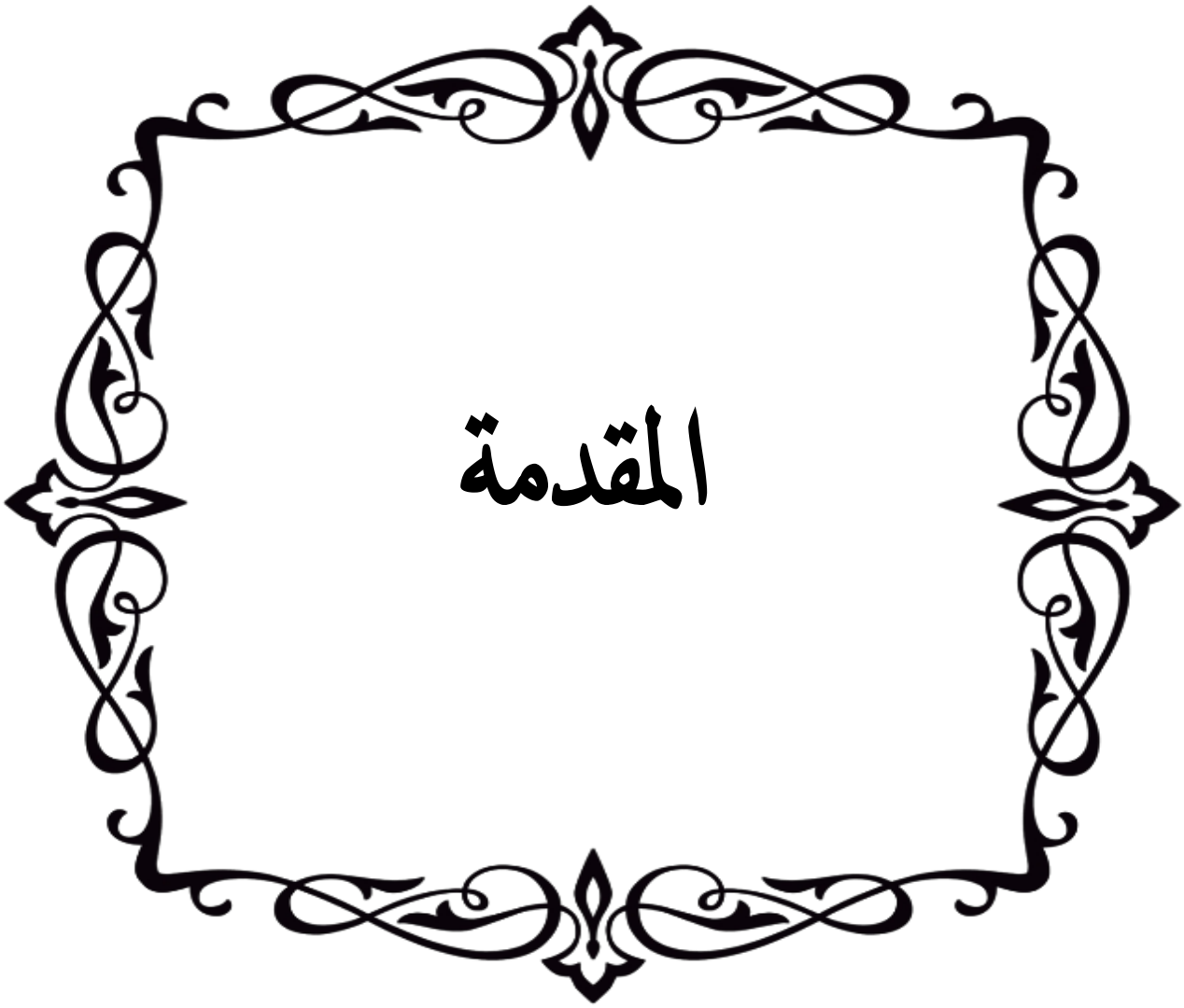
المقدمة

من المؤسف أن أغلب الجزائريين، ممن ينتسبون إلى الأندية العلمية أو الأدبية، أو ممن يشتغلون في السلك الديني أو التربوي لا يعرفون عن الإمام (الخضر) الذي كان يعتز بموطنه الأصلي الجزائر أيّما اعتزاز، وكان كلما سُئلَ عن أصله، يجيب، بلغته العربية الفصيحة: "أصلي من بلاد الجزائر، ومن بلدة طُولْقَةَ؛ من عمالة "بسكرة".

ولأن الجزائر كبيرة في عيون الإمام الخضر، فقد خصها بالكثير من المقالات الثرية، والبحوث الرائعة، وضمّنها في ما كتب من أدب الرحلات، ذلك الذي سنحاول تبيّن أبعاده، بالوقوف على رحلته الجزائرية.

ولعلّ من الأسباب المباشرة في اختيار هذا الموضوع، هو الانتساب إلى مشروع الإمام الأكبر، الشيخ محمد الخضر حسين الجزائري الذي صرف إليه الأستاذ: أبو بكر مرزوق كل جهده حين اسنده إلى الطلبة (طلبة الماستر)، وهو سبب مقنع في الإسهام في هذا المشروع الذي نحن أولى به، يضاف إليها فضول التعرف إلى هذه الشخصية التي تكاد تكون مجهولة عند كثير من الطلبة، والاقتراب من تراثه اللغوي، والأدبي، والفكري، والديني.

من هنا، تتجلى أهمية مقاربة الرحلة العلمية عند الشيخ الخضر، التي اخترنا أنموذجا لها رحلته إلى بلده الجزائر، لتأكيد خصوصية الرحلة عند الشيخ الخضر وأنّها لا تكاد تخرج عن مساره العلمي، التعلّمي، التعليمي ، وإن بدت رحلة إلى الوطن الأم.

وعليه، فإنّ من أهداف اختيار موضوعة الرحلة عند الشيخ الخضر ما يعود إلى طبيعة الرحلة عند الشيخ وطبيعة تكوينه النفسي والفكري والثقافي، الذي يرى فيها سياحة علمية قبل أن تكون زيارة للوطن الأم الجزائر، وهو قناعةٌ حملها الشيخ الخضر في نفسه، مؤمنا فيها بما يستفيده من مشاهدات للبلد الذي يزور، وملاحظات للأمة التي يعايشها.

كما حصرت أهداف البحث الثانوية في بيان خصائص الرحلة من حيث المضمون، والأسلوب عند الشيخ الخضر لتأكيد خصوصية الرحلة عنده وأهدافها القارة (التعلمية/ التعليمية/ العلمية)، التي لا تكاد تخلو منه أيّ رحلة من رحلاته.

ولا بدّ أن نقف – هنا – على المنهج المتّبع في هذه المقاربة، إذ يكاد المنهج الوصفي، يفرض نفسه، كونه أصلح للاستقراء والاستنباط، والتقرير والتعليل الذي يفرضه النظر في المضمون، إلى جانب ما يستدعيه الشكل الرحلي من وقوف على وصف اللغة، والأساليب، والصيغ المجسّدة له.

وعلى أساس هذا المنهج، يمكن اقتراح خطّة قرائية تقوم على: مدخل وثلاثة فصول تسلمنا إلى خاتمة استنتاجية.

– **المدخل**: يتناول جنس الرحلة تعريف، ونوعا، كما يتناول أدبيتها.

– **الفصل الأول**:يتناول الرحلة عند الشيخ الخضر، من خلال:

التعريف بشخصية الخضر، وتقريب مفهوم الرحلة، ومقاصدها عند الشيخ الخضر، والإشارة إلى أنواع الرحلة عند الشيخ الخضر مع التركيز على الرحلة العلمية، مع تناول عناصر الأدبية (أدبية الرحلة العلمية عند الشيخ الخضر تحديدا).

– **الفصل الثاني**: قراءة في مضمون الرحلة الجزائرية، وتتم عملية المقاربة من حيث:أماكن في الرحلة – رجال في الرحلة – قيم في الرحلة، والانتهاء إلى استثمار واستنتاج.

– **الفصل الثالث**: قراءة في شكل الرحلة الجزائرية، وتقوم على متابعة أدبية نص الرحلة، انطلاقا من مقاربة عناصره السردية، بتناول: زمنية الرحلة، وفضائها، والفواعل المحرّكة لها، ابتداء بالسارد (الرحّالة)، ورؤيته السردية، وانتهاء بشخصيات الرحلة – والسارد الرحّالة طرف أساس فيها – وما تعكسه من أبعاد فكرية من خلال تعدّد أصواتها، ثم الوصول إلى لغة الرحلة وتلوّن طيفها، بين: التقريرية، والسردية، والوصفية، والتصويرية، وأسلوب الكتابة والمدرسة الفنية، التي ينتمي إليها المؤلف.

– **الخاتمة**: تستعرض نتائج هذه المقاربة وفتح آفاق للبحث.

وككل بحث فقد واجهتنا جملة من الصعوبات وهي: قلة المصادر و المراجع التي تناولت الرحلة عند الشيخ الخضر، باعتبار أن شخصيته هي شخصية نادرة، فإن جل الذين تكلموا عليه اعتمدوا على ترجمة الأستاذ علي الرضا الحسيني، و كذلك صعوبة الدراسة التطبيقية في الرحلة، إلا أننا بعون المولى عز وجل استطعنا أن نتجاوز هذه العثرات لإخراج البحث.

لا يسعنا المقام إلاّ أن نتوجّه إلى أستاذي المشرف (أبي بكر مرزوق)، حامدة الله على توفيقي معه، شاكرة له مرافقته على امتداد مرحلة البحث، إذ بصمته تكاد تكون واضحة على مستوى المنهجية وهندسة النص؛ لأهمية الشكل في إدراك مضمون البحث، و الذي هو حلقة من مشروع جامعي كبير، سائلة الله أن يمتّعه بالصحة والعافية، وأن يوفقه في انجاز مشروعه و اتساع دائرة البحث فيه، وأن يبقيه ذخرا لحاملي رسالات العلم والمعرفة، معلّمين ومتعلّمين. آمين..

المـــــــدخل:

1- في مفهوم الرحلة

1-1 الرحلة في اللغة

1-2 الرحلة في الاصطلاح

2- أنواع الرحلات

2-1 الرحلة الدينية

2-2 الرحلة العلمية

2-3 الرحلة الرسمية

2-4 الرحلة التجارية

3- أدبية الرحلة

1- في مفهوم الرّحلة:

1-1الرّحلة في اللغة:

حظيت مادة "رحل"، في معاجم اللغة العربية، باهتمام كبير، وذلك لما تحمله من دلالات مختلفة. فقد جاء في لسان العرب: "التّرحيل والرّحال: بمعنى: الإشخاص والإزعاج.يقال: رحل الرّجل: إذا سار، وأرحلته أنا، ورجل رَحُول، وقوم رُحَلَ: أي:يرتحلون كثيرا، ورجل رحَّال: عالم بذلك،مجيد له..".

ولقد وردت في مواضع أخرى، بمعنى: الانتقال من مكان لآخر. فالرحلة:اسم للارتحال،يقال: دنت رحلتنا، والرحل، والارتحال: الانتقال.ورحل فلان، وارتحل،وترحّل وإبل مرحّلة: عليها الرِحال، وهي - أيضا - التي وُضعت عنها رحالُها. والرحيل:اسم ارتحال القوم للمسير، والرحلة: السفرة الواحدة، والمرحلة: المنزلة؛ يرتحل منها، وما بين المنزلتين مرحلة[1].

انطلاقا من هذه التعريفات، نلاحظ على هذه المادة مايلي:

- إنّ مشتقات مادة "رحل" كثيرة، ومتعددة؛ فقد جاءت بمعنى السير والضرب في الأرض، والانتقال في المكان، والزمان؛حيث تدور- كلّها - حول تيمة "السفر".

- تشتق من فعل (رحل) أفعال على شاكلة (ارتحل)، و(ترحّل)، كما يستعمل لفظ (الرحيل) استعمالا عاما، ويتفرّد لفظ (الرحلة) بالاستعمال الخاص، وبالدلالة الخاصة.

- يصاغ للقائم بالرحلة اسم الفاعل (راحل)، وصيغة المبالغة منه (رحّال)، وصيغة مبالغة المبالغة (رحّالة)، وهذه الأخيرة هي المشهورة في الاستعمال لقوة الدلالة فيها.

- يستعمل ملفوظ (السفر) مقابلا محتشما للرحلة، لصفة الشمولية والإطلاق فيه، دون أن يحيط بحمولة (الرحلة)، ودلالتها الاصطلاحية الدقيقة.

1-2 الرّحلة في الاصطلاح :

وإذا ما نظرنا إلى المفهوم الاصطلاحي للرحلة، وجدنا أنّه يشترك مع المفهوم اللغوي في الحركة؛ فهو بمثابة اللون الأدبي ذو الطابع القصصي،كما أنّه ضرب من "السيرة الذاتية"، يحمل بين طياته أسلوبا متميّزا.

ولقد تعدّدت المستويات الدلالية للرحلة عند أصحاب "الاصطلاح"، حيث يعرّفها (بطرس البستاني) على أنّها "انتقال واحد، أو جماعة، أو عائلة، أو قبيلة، أو أمّة، من مكان إلى آخر؛ لمقاصد مختلفة، وأسباب متعددة" [1].

1- ابن منظور: **لسان العرب**، تح: يوسف خياط، دار صادر، بيروت، ط.3 ، 1414هـ، مادة (رحل).

يمكن اعتبار الرحلة تجربة "تعلن على سرد الأسفار"[2]، وتتضمّن معنى الذهاب بعيدا عن الأوطان، حيث يتمّ التعبير عن هذه التجربة من خلال الأدب، مما يؤدي إلى نوع من الاندماج بين زمن التجربة، وزمن تدوينها، يُفضي إلى تشكيل نوع من التداخل والتكامل بين: ما يراه الكاتب بعينه، وما يرسمه الخيال للمتلقي، وهو يعكس تواصلا من نوع خاص، يحرّكه دافعُ نفع الغير، وتخليد السفر عبر نقل هذا الأخير من حيز الأشواق والرقائق إلى صفحات الأوراق. إذًا فالرحالة هي كلّ ما يكتبه الرحالة من: أحداث، ومشاهد عاشها خلال رحلته، يغلب عليه طابعه الذاتي، ولابدّ أن تكون كتبت من سفر حقيقي واقعي[3].

2- أنواع الرحلات:

لقد حاول العديد من الباحثين المعاصرين تصنيف الرحلات العربية وحصرها، لكنهم اختلفوا في ذلك، فعيّن (صلاح الدين الشامي) ستة أنواع للرحلة: ثلاثة منها ظهرت قبل الإسلام وهي: رحلة التجارة، ورحلة الجهاد، ورحلة السفارة، والثلاثة الأخرى، ظهرت بعد الإسلام، وهي: رحلة الحج، ورحلة طلب العلم، ورحلة التجوال والتطواف[4].

أما (محمد الفاسي)، فيعدّد أنواع الرحلة، في مقدمة تحقيقه لكتاب (الإكسير في فكاك الأسير) إلى خمسة عشر نوعاً، وهي: الرحلات الحجازية، والسياحية، والرسمية، والدراسية، والأثرية، والاستكشافية، والزيارية، والسياسية، والخيالية، والعلمية، المقامية، والبلدانية، الفهرسية العامة، والسفارية؛ إلاّ أن أهم أنواع الرحلات العربية تنحصر في أربعة أنواع، وهي: الرحلة الدينية، والرسمية، والتجارية، والعلمية[5].

2-1 الرحلة الدينية:

ويطلق على هذا النوع الرحلات:الرحلة الحجازية أو الحجّية، حيث يُعد بمثابة الصنف الأول من حيث الكتابة، وهو من أهم العوامل التي دفعت المسلمين من كل فج عميق إلى شدّ الرحال من أجل تلبية نداء الرحمان، لأداء مناسك الحجِّ.

1- أسماء أبوبكر: **ابن بطوطة (الرجل والرحلة)**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 1992، ص: 9.

2- عبد الفتاح كيليطو: **الحكاية والتأويل (دراسات في السرد العربي)**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط.1، 1988، ص: 72.

3- ينظر: خالد التوزاني: **الأمن الروحي في الرحلات المغربية الصوفية**، مجلة تاريخ العلوم، جامعة فاس، المملكة المغربية، العدد الرابع، ص: 19.

4- ينظر: صلاح الدين الشامي: **الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية**، منشأة المعارف، الاسكندرية، ط.2، 1999، ص: 121.

5- ناصر عبد الرزاق موافي: **الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)**، دار النشر للجامعات، مصر، ط.1، 1995، صص: 32- 34.

2-2 الرحلة العلمية:

تعود نشأة الرحلة في طلب العلم إلى انتشار الإسلام؛ فمنذ عهد مبكر، ارتحل المغاربة إلى المشرق؛ لأهداف تعليمية، أومن أجل مقابلة الشيوخ من العلماء.ولقد كانت الرحلات في العصور الإسلامية[1]، وهذا ما نلمسه في مقولة ابن خلدون الشهيرة، إذ "الرحلة لابدّ منها في طلب العلم،ولاكتساب الفوائد، والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال"[2].

2-3 الرحلة الرسمية:

يضم هذا النوع: كلاّ من الرحلات التكليفية، والإدارية، والسفارية، وهي خاصة بدوافع عديدة منها: "تفقد أمر الرعية، أو تلبية طلب الحاكم في معاينة أماكن مجهولة أو بعيدة، أو الإتيان بأخبارها. فقد تكون في إطار التجسّس أو الاستطلاع"، ولقد عدت السفارة الشكل الرسمي للرحلات، حيث يوكل بها الرحّالة من قبل الحاكم. فالرحلات السفارية تتعلّق بتبادل السفارات بين الدول الإسلامية، وبين الدول الأجنبية[3].

2-4 الرحلة التجارية:

كان لاتساع رقعة الدولة الإسلامية أثر في ظهور هذا النوع من الرحلة، ولقد شجعت طبيعة الجزيرة العربية الصحراوية سكانها إلى ممارسة التجارة مع الأجناس الأخرى، كما ساهمت في ربط وتقوية العلاقات بين مختلف المناطق. وقد أشار القرآن الكريم إلى مثل هذا النوع من الرحلات في قوله تعالى:﴿لِإِيلافِ قُرَيْشٍ(1) إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ(2) ﴾[4].

3- أدبية الرحلة:

يرى الباحث المغربي (عبد الرحيم مودن) أنّ من أهم الدوافع الجوهرية، التي تجعل نص الرحلة مجرد ملحق لنص مركزي آخر، سواء أكان شعريا، أم نثريا، إضافته إلى كلمة أدب، وتاليا إخضاعه لخطاب معياري؛ يرى أنّ مفهوم "الأدبية" مفهوم تحقّق من خلال عناصر ثابتة لا تقبل الجدل أو المراجعة، وهذا يعكس القضايا، التي همّشها هذا المنظور التالي:

- لا يوجد مفهوم ثابت للأدب، بالرغم من وجود بعض القواسم المشتركة التي لانعدم لها وجوداً في الوظائف الشائعة للنص الأدبي.

1- جميلة روباش: **أدب الرحلة في المغرب**، رسالة دكتوراه، إشراف الدكتور: أمحمد بن لخضر فوار، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015/2014، ص: 27.

2- ابن خلدون عبد الرحمن: **المقدمة**، تح: عبد السلام الشدّادي، خزانة ابن خلدون، بيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء، المغرب، ط.1، 2005، ص: 226 .

3- جميلة روباش: **أدب الرحلة في المغرب**، ص: 28.

4- سورة قريش/ 1- 2.

– الرحلة في هذا السياق، تمتلك أدبيتها عبر تفاعلاتها مع الرصيد المتداخل في مستوياتها المختلفة.

وهذا المنظور، يجعل من الرحلة نصا لا يمتلك أدبيته إلاّ إذا حمل خصائص الأسلوب الجميل، والخصائص البلاغية المميّزة المسايرة لتقاليد الكتابة العربية السائدة أو المعيارية.

وإذا لم تضمّ الرحلة الخصائص السابقة أعلاه، فإنّها لا تندرج تحت "أدب الرحلة"، ولا يجب إضافتها إلى "الأدب"، بل إنّها مجرّد رحلة تحقّق غايات عديدة، ما عدا الغاية الأدبية[1].

وبما أنّ الرحلة هي: مجموعة من الآثار الأدبية، التي تتناول انطباعات المؤلّف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات، وسلوك، وأخلاق، ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد..فهناك صفتين لابدّ من توافرهما في أدب الرحلات:

أ– أن يكون من يكتب عن الرحلة "رحّالا" بطبعه، محبا للرحلات.

ب– أن يكتب بالأسلوب الذي يجعل وصفه للرحلة يعكس روح الرحلة، والرغبة الشديدة التي يمتلكه للقيام بها.

وهكذا، يمكن القول:إنّ طرفي هذا النوع من الأدب هما: الرحلة كـ(موضوع) من ناحية، وشخصية الرحّال (الذات الفاعلة)، من جهة أخرى[2].

وعلى الرغم من تعدّد التعريفات، والتعليقات حول مفهوم "أدبية الرحلة"،إلاّ أنّها تقتضي وجود أسس، أهمها:

– تنتمي الرحلةُ إلى (أدب السفر)؛ فهو يعتبر بنية مهيمنة من جهة، والرحلة بنية متحكمة وجاذبة لباقي البنى من جهة أخرى[3].

– لابدّ من أن تكون الرحلة واقعية، محدّدة بالإطار الزماني والمكاني، يقوم بها الرحالة بنفسه، فيصف انطباعاته ومشاهداته في هذه الرحلة، وأنّ الوصف يجب أن يوازن بين شخص الرحّال من ناحية، والرحلة، كموضوع، من ناحية أخرى.

– يستخدم النثر – عادة – في التعبير عن الرحلة، دون تكلّف أو إسراف.

– يحافظ كاتب الرحلة على بنية "السردية"، مما يضمن تماسك العمل ووحدته، وليس يفرض عليه أن يلتزم معمارا بعينه؛ ففي أدب الرحلات سعة ومرونة قد لا تتوافر في غيره، بل على كاتب الرحلة أن يختار معمارا – قد يكون مبتكرا– فيكون ذا معالم واضحة،كفيلة بتحقيق الترابط بين أجزاء العمل، من البداية حتى النهاية.

1– عبد الرحيم مودن: **أدبية الرحلة**، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط.1، 1996، صص: 23، 24.

2– ناصر عبد الرزاق موافي: **الرحلة في الأدب العربي**، ص: 38 .

3 – عبد الرحيم مودن: **أدبية الرحلة**، ص: 26 .

– يكون الهدف من ذكر الرحلة: التأثير في القارئ، والتواصل معه، حيث يستمتع بكلّ ما فيها، فتزداد ثقافته، ومعارفه بطرق غير مباشرة.

– أدب الرحلة فن قائم بذاته، له أصوله وقواعده، وله ملامحه الأجناسية، التي تتيح له قدرا كبيرا من المرونة، والقدرة على التطوّر والتلوّن، حسب مقتضى كلّ فرد، أو عصر، أو بيئة، فلم يعد الحديث في (الرحلة) عن نص تابع لنص آخر[1].

هكذا أصبحت أدبية الرحلة متميزة، بكونها رحلة "مهجّنة"؛ تتفاعل فيها الأنظمة اللغوية، واللهجية، والصوتية، بحوارية النصوص، سواء كانت رحلات سابقة، أم أنماطا خطابية أخرى معارضة، أم اقتباسا، أم تضمينا، أم تحويلا[2].

1 – ناصر عبد الرزاق موافي: **الرحلة في الأدب العربي**، صص: 40، 41.

2– عبد الرحيم مودن: **أدبية الرحلة**، ص: 27.

الفصل الأول

أدب الرحلة عند الشيخ الخضر

1/ترجمة الشيخ الخضر حسين الجزائري

2/ماهية الرحلة عند الشيخ الخضر

3/أنواع الرحلة عند الشيخ الخضر

4/ رحلات الشيخ الخضر

تمهيد:

تعد شخصية الإمام محمد الخضر حسين من أهم الشخصيات التي كرست حياتها في طلب العلم والتعمق فيه؛ فالرجل كان كثير التنقّل، محبا للترحال، قصد التعرف، والاستكشاف، خدمة للإسلام، ولتوحيد كلمة المسلمين. ولقد لعبت الرحلة دورا بارزا في تكوين شخصيته الثقافية، وجعلت لها قيمة علمية ضمن أدب الرحلات، نظرا لما صادفه أثناء رحلاته، فتعمقت معارفه، وتشعبت تجاربه، وتنوعت ثقافته.

ويبدو أن فضيلته أراد أن يخلّد حياته؛ لتصبح قدوة لغيره، وهذا ما سنلتمسه، عندما نقف على أهم المحطات التي مرّ بها في حياته، منذ نشأته، وصولا إلى أخرحياته، والوقوف عند مفهومه للرحلة، ومقاصدها، وأنواعها.

1/ترجمة الشيخ الخضر حسين الجزائري:*

هو محمد الخضر حسين. ولد في مدينة (نَفْطة)؛ من أعمال الجريد، بجنوب القطر التونسي، في: 26 رجب سنة 1293هـ / 16 أغسطس 1876م. واسم الشيخ: (محمد بلَخْضَرْ بن الحسين)، ابن الشيخ الصوفي المشهور: (علي بن عمر الطولقي)، المتوفى في 1258هـ /1841 هـ، غير أنّه، لما توجّه إلى المشرق، حذف عماد كنيته "ابن" من اسمه، على الطريقة المشرقية، فغلب عليه (الخِضْر) عوضاً عن (لَخْضَرْ). وبذلك يكون اسم (محمد الخضر حسين) هو المعروف في الأوساط العلمية والثقافية. وهو الاسم المعروف المشهور الذي ارتضاه، والذي كان يمضي رسائله، ومقالاته، ومؤلفاته به. كما هو الاسم الذي عَرَفَهُ الناس به، ولم يختلف فيه أحدٌ ممن ترجم له بعد ذلك[1].

أما نسبه: فهو محمد الخضر بن الحسين بن علي بن أحمد بن عمر ابن الموفق بن محمد بن أحمد بن علي بن عثمان بن يوسف بن عمران بن يوسف ابن عبد الرحمن بن سليمان بن أحمد بن علي بن أبي القاسم بن علي بن أحمد بن حسن ابن سعد بن يحيى بن محمد بن يونس بن لقمان بن علي بن مهدي بن صفوان بن يسار ابن موسى بن عيسى بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن فاطمة الزهراء بنت رسول الله".

أما أبوه: فهو الحسين بن علي من مريدي الشيخ مصطفى بن عزوز صاحب الطريقة الرحمانية. وأمّا جده: للأب الشيخ علي بن عمر، وهو من العلماء، وأصله من عائلة العمري من قرية (طولقة) وهي واحة من واحات الجنوب الجزائري. وأما أمه: فهي السيدة الصالحة حليمة السعدية بنت الشيخ مصطفى بن عزوز، وهي من الشهيرات بالتقى، والعلم والصلاح،

---

* تم الاعتماد على ما أورده الأستاذ مواعده: **محمد الخضر حسين (حياته وآثاره)**، الدار الحسينية للكتاب، الجزائر، ط.2، (د.ت).

1- محمد مواعده: **محمد الخضر حسين (حياته وآثاره)**، ص: 13.

ولدت في تونس سنة 1270هـ، وتوفيت بدمشق سنة 1335هـ، وأما جده للأم فهو الشيخ مصطفى بن محمد بن عزوز، وأصله من قرية (البرج)، من قرى وادي سوف بواحات الجنوب الجزائري.

وقد استقر ببلدة نفطة التونسية سنة 1257هـ، وأحدث بها مدرسته الحافلة، وأنشأ بها بيوتاً لسكن المنقطعين لقراءة القرآن، وتَعلُّمِ العلم، وحشد لها العلماء الأعلام من كل جهة؛ ليدرسوا فيها فنون العلم على اختلاف مشاربها. وخاله: العلامة الفقيه (محمد المكي بن عزوز) 1270- 1334هـ /1854- 1915م)، وهو من كبار العلماء الصالحين، الذي كان موضع إجلال وتقدير من رجال الدولة العثمانية[1].

نشأ الشيخ محمد الخضر حسين في كنف تلك العائلة الكريمة، وهي عائلة علم وثقافة، ودين وأدب – كما مرَّ ذلك قبل قليل– وكانت بلدتُه نفطة ذات واحاتِ النخيل الجميلة الفيحاء، والمياه المتدفقة الصافية في ذلك العهد – مقراً للعلم والعلماء؛ فكانت تُلَقَّب بالكوفة الصغرى؛ تشبيها بمدينة الكوفة المركزِ العلمي الشهير بالعراق؛ لما كانت تعج به من فرق مختلفة، ومن حلقات العلم، والتدريس والمناظرة، وطلبة العلم الذين كانوا يتوافدون من الجزائر خاصة، ومن عدد من أنحاء البلاد التونسية؛ للتحصيل والدرس[2].

وكانت برامج الدراسة تتمثل في حفظ القرآن الكريم، ومتون اللغة، والفقه، وفي حضور حلقات الدرس التي كانت تُنَظَّم في الفقه، والتوحيد، والنحو، والصرف، والحديث. ولقد تربى الشيخ الخضر في هذه البيئة العامة التي يسيطر عليها العلم، وتغمرها الثقافة والأدب، ويحيط بها الوازع الديني الإيماني من كل جانب، كما تربى في تلك البيئة العائلية – عائلة ابن عزوز– التي اشتهرت – كما مر – بالعلم، والثقافة، والأدب إلى جانب السياسة والجهاد. ولا ريب أن من يأتي على رأس أولئك العلماء الأدباء أستاذه وخاله العلامة محمد المكي بن عزوز الذي كان مهتماً به اهتماماً خاصاً، ويرعاه رعاية كاملة[3].

وفي هذا الوسط العائلي تُلَقِّن الأمُّ أبناءها علوم الشريعة، واللغة، وتحرك أشواقهم بالحديث عن الأزهر الذي كان محط الأنظار، ومظهر الإعجاب. ومن غرائب ما يمر بالناظر في سيرة الشيخ الخضر – كما روى الشيخ وروى بعض أقاربه – أن أمه حليمة السعدية بنت الشيخ مصطفى بن عزوز كانت تُرَقِّصه وهو صغير، وتداعبه بقولها:

إن شاء الله يا لخضر تكبر وتروح للأزهـــر.

1- محمد مواعده: **محمد الخضر حسين (حياته وآثاره)**، ص: 15، 16 .

2 -محمد مواعده: **محمد الخضر حسين (حياته وآثاره)**، ص: 26.

3 -محمد مواعده: **محمد الخضر حسين (حياته وآثاره)**، ص: 27.

وبعد ما يقرب من ثمانٍ وسبعين سنة وفي شهر المحرم من سنة 1372هـ، يصبح ذلك الوليد إماماً للجامع الأزهر!! وهكذا تربى الشيخ الخضر في هذه البيئة العلمية الأدبية؛ فحفظ القرآن الكريم على مؤدبه الخاص الشيخ عبد الحفيظ اللموشي، ودرس بعض العلوم الدينية واللغوية على عدد من العلماء، وعلى رأسهم خاله الشيخ محمد المكي بن عزوز.

ولما بلغ الشيخ السنة الثالثة عشرة من عمره انتقلت أسرته من نفطة إلى تونس العاصمة، وذلك في أواخر سنة 1306هـ. ويرى الأستاذ محمد مواعده أن سبب ذلك الانتقال هو حرص العائلة على تمكين الشيخ الخضر من مواصلة الدرس والتعلم بجامع الزيتونة مع إخوته الآخرين؛ إذ كان جامع الزيتونة قبلة طلاب العلم من جميع الأمصار[1].

وفي1307هـ دخل الشيخ الخضر جامع الزيتونة، وحصل على شهادة التطويع عام 1316هـ. وفي جامع الزيتونة درس الشيخ على كبار شيوخه الذين كانوا أعلام ذاك العصر في تونس، كالشيخ سالم بو حاجب، وعمر بن الشيخ، ومحمد الوزير، وأحمد بوخريص، وخاله الشيخ محمد المكي بن عزوز، والشيخ محمد بن يوسف، والشيخ الطيب النيفر، والشيخ محمد النجار*. وقد قرأ على هؤلاء العلماء وغيرهم الكثير من الكتب في شتى الفنون.

ولم يقتصر الشيخ الخضر على الدارسة الزيتونية فحسب، بل تابع دروسه باهتمام، وكان يحضر بعض حلقات الدروس الأخرى زيادة على البرنامج الأصلي؛ رغبة في التعمق والاطلاع. وقد كان محلَّ رعايةٍ خاصة من طرف جلِّ الشيوخ المدرسين، وخاصة البارزين منهم؛ نظراً لما لمسوا فيه من النجابة، والنبوغ، والألمعية، ولِمَا لخاله الشيخ محمد المكي بن عزوز من المكانة، والشهرة؛ حيث كان ابن عزوز يلقي دروساً بجامع الزيتونة تطوعاً، وكانت من أكثر الدروس شهرة، ويحضرها بعض الشيوخ، وعدد كبير من الطلاب[2].

هذا وقد تأثر الشيخ محمد الخضر بعدد من شيوخه العلماء الذين كان حريصاً لا على متابعة دروسهم فحسب، بل كان كذلك على حضور مجالسهم، والاستماع إلى أحاديثهم ومناظراتهم في شتى فنون الأدب، واللغة والدين[3].

ثم إن الشيخ الخضر لم يكن ليتوقف عن طلب العلم، والاستزادة من المعرفة، بل إنه كان مواصلاً لذلك، حريصاً على تثقيف نفسه، ومن مظاهر ذلك أنه عندما هاجر إلى الآستانة شرع في تعلم اللغة التركية، حتى فهمها، وتدرب على قراءة صحفها. ولما كان في ألمانيا إبَّان الحرب العالمية الأولى اغتنم فرصة وجوده هناك؛ فتعلَّم اللغة الألمانية، تَعَلُّمَ استفادة أولاً حتى أتقنها، وأصبحت لديه القدرة على الفهم والإفهام، حتى إنه أسهم في ترجمة بعض كتبها إلى اللغة العربية. كما درس المجتمع

1- محمد مواعده: **محمد الخضر حسين (حياته وآثاره)**، ص:21.

* ترجم الشيخ الخضر لهؤلاء العلماء، وتعرض إلى سيرهم في كثير من مؤلفاته، خصوصاً في كتابه (تونس وجامع الزيتونة).

2- محمد مواعده: **محمد الخضر حسين (حياته وآثاره)**، ص: 25 .

3 -محمد مواعده: **محمد الخضر حسين (حياته وآثاره)**، ص: 34.

الألماني، وعادات الأمة وأحوالها، وأخلاقها، ودرس علوم الكيمياء والطبيعة على يد البروفيسور الألماني (هارد) أحد العلماء المستشرقين[1].

بل إنه لما رحل إلى مصر، واستقر بها بدأ يشعر أنه بحاجة إلى تعلم اللغة الفرنسية وقد تجاوز عمره السبعين، واشتدت رغبته في ذلك عندما أصبح عضواً في جهة الدفاع عن شمال أفريقيا؛ حيث تَرِدُ على هذه المنظمة بالقاهرة صُحُفٌ من الشمال الأفريقي وغيره باللغة الفرنسية، وفيها من الأبحاث ما يقتضي الاطلاع؛ فبحث عن مدرس مصري لهذه اللغة، واتفق معه على إعطاء درس في كل يوم بمقابل مالي، وذلك بمقر جمعية الهداية، وكان ذلك سنة 1948م إلى أن أصبح قادراً على القراءة والمطالعة بها. وهذا ديدنه، وسيرته في تلقيه للعلم، وحرصه على الإفادة طيلة مراحل حياته.

خلّف فضيلة الإمام محمد الخضر حسين للمكتبة العربية والإسلامية تراثاً دينياً وفكرياً وعلميا وأدبياً زاخرا، شهد على عقله المبدع، وفكره الراسخ المجدد. ومن مؤلفاته:

1- رسائل الإصلاح: محاضرات ومقالات في المجال التربوي والأخلاقي.

2- القياس في اللغة العربية: البحث الذي نال عليه المؤلف عضوية هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف.

3- الخيال في الشعر العربي : هو كتاب نال شهرة واسعة في الأوساط الفكرية والأدبية.

4- الحرية في الإسلام : محاضرة ألقاها في نادي قدماء المدرسة الصادقية.

5- بلاغة القرآن: بحوث ودراسات تتعلق بـ "نقل معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية" و"رأي في تفسير القرآن"و"المحكم والمتشابه في القرآن الكريم".

6- محمد رسول الله وخاتم النبيين: مقالات حول السيرة النبوية العطرة.

7- ديوان خواطر الحياة: وهو من الشعر الراقي الذي يسمو بالأخلاق الكريمة.

8- السعادة العظمى: مجموعة مقالات نشرها المؤلف في أول مجلة السعادة العظمى بتونس.

1- محمد مواعده: **محمد الخضر حسين (حياته وآثاره)**، ص: 34.

9- الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان: مباحث دينية في أصول الدين، وأصول الفقه، والأحكام العملية، والفتاوى.

10- محاضرات أدبية: مجموعة من المحاضرات كان قد ألقى بعضها في محطة الإذاعة بالقاهرة، ونادي جمعية الهداية الإسلامية، ونشرت في العديد من المجالات الأدبية.

11- تراجم الرجال: تراجم مجموعة من أعلام الإسلام النبلاء.

12- أحاديث من رحاب الأزهر: أحاديث الإمام لما اعتلى مشيخة الأزهر الشريف، وقد نشرت في العديد من الصحف والمجلات.

13 – دراسات في الشريعة الإسلامية: مجموعة أخرى من المقالات نشرها في مجلة "لواء الإسلام"، التي كانت تصدر عن هيئة مشيخة الأزهر.

14 – نقض كتاب في الشعر الجاهلي: فند فيه أغلاط طه حسين حين صدر كتابه في الشعر الجاهلي.

15 – نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم: فند فيه كتاب "الإسلام وأصول الحكم" للقاضي الشرعي والشيخ الأزهري:"علي عبد الرازق"، ودعواه الباطلة.

16 – الهداية الإسلامية: مقالات كان ينشرها في مجلة "الهداية الإسلامية"، التي كان يترأس تحريرها.

17 – تونس وجامع الزيتونة: كتاب يتطرق إلى الحركة الفكرية في جامع الزيتونة العريق، مع تراجم بعض الفقهاء والأعلام التونسيين.

18 – حياة اللغة العربية: يضم بحوث في مجالات اللغة والنحو، نشر بعضها في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

19 – أسرار التنزيل: وهو تفسيره لبعض القرآن الكريم، نشره في مجلة "لواء الإسلام" التي كانت تصدر بالقاهرة، وكان رئيساً لتحريرها.

20 – الدعوة إلى الإصلاح: وهي مقالات في مجال الإصلاحي والتنويري، طبعت في حياته.

21 – حياة ابن خلدون: كتاب من الحجم الصغير يتطرق إلى جوانب هامة من حياة العلامة (عبد الرحمن ابن خلدون) وفكره.

23 – الرحالات: دَوَّن فيها رحلاته خارج الديار التونسية.

إلى جانب العديد من التحقيقات على هوامش الكتب، المؤلفات المتفرقة، والبحوث القيمة التي نشرت بين الصحف والمجالات العربية[1].

2/ماهية الرحلة عند الشيخ الخضر:

قد تعد الرحلة — ومنها السفر – جزءا لا يتجزأ من حياة الإنسان، فلا يمكن الاستغناء عنها، إذ هو بحاجة إليها لقضاء حاجياته وقد تكون سعيا لخدمة الوطن، والإسهام في رقيّه.إلاّ أن مقاصدها قد تختلف من شخص إلى أخر، فمنهم من ارتحل لظروف اضطرارية، فيكون بذلك مرغما على السفر، وهناك من يرتحل رغبة منه، على رغم من معرفته ما للسفر من مشقة، فيسعى جاهدا لتحقيق فوائد من هذه الرحلة.

وبما أن الرحلة تقوم على فعل الحركة والانتقال، ونقلهما إلى الكتابة، بشرط أن تكون رحلة واقعية (إذ أدب الرحلات هو ما يمكن أن يوصف بالواقعية)، وهي الرحلة التي يقوم بها رحالة من بلد من بلاد العالم، ويدوّنها، وصفا لها، وتسجيلا لمشاهداته فيها، وانطباعاته تجاهها، بدرجة من الدقة والصدق، وجمال الأسلوب[2] .

لقد اعتبر الإمام الخضر الرحلة وسيلة من وسائل ترقية العلوم والآداب، وتهذيب النفوس، وإصلاح حال الاجتماع، لما تأتي به من ثمار طيبة، تترك أثرا عميقا، سواء في حياة الراحل، أو في قومه، أو حتى في البلاد التي يرتحل إليها. يقول الشيخ الخضر:

".. لعل قائلاً يقول: إنّ فائدة الرحلة قد عرفها الناس على اختلاف أصنافهم، وتفاوت طبقاتهم، وأصبحت من المعلومات الموضوعة على ظاهر اليد، فالحديث عنها صرف للوقت في غير جدوى. فأقول في الجواب: إني في شك من هذا؛ لأنّي أرى كثيراً ممن وهبهم الله القدرة على الرحلة، وهيأ لهم وسائلها، لا يُقبلون عليها، وينصرفون عنها انصرافهم عن الأشياء التي يرونها خالية من كلّ فائدة ولذة. على أني أريد التنبيه لما في الرحلة من فوائد؛

1- محمد مواعده: **محمد الخضر حسين (حياته وآثاره)**، ص: 132،150.

2- ينظر: شوقي ضيف: **الرحلات**، دار المعارف، القاهرة، ط.1، (د. ت)، ص: 11.

ولأضعها أمام نشئنا، حتى إذا خطر لهم ما في الرحلة منحرج وعناء، نظروا إلى هذه الفوائد، فيخف وزن تلك المتاعب، وتذهب أمام أنظارهم غير محتفل بها"[1].

1/2 الرحلة في نظر الإسلام:

يرى الشيخ الخضر أنّ الإنسان – بطبعه – محب للترحال، وأنّ المسلم، أشدّ حبا لها؛ لما غرسه الإسلام من ترغيب في السفر والسياحة والاستكشاف.إذ ديننا الحنيف، لم يدع وسيلة من الوسائل التي تفيد الإنسان إلا ودعا إليها، ومن ذلك: الرحلة على اختلاف دوافعها، فلهذا ركز الشيخ الخضر على نظرة الإسلام للرحلة،

وعلى أهم أغراضها السامية التي يمكن تلخيصها كالآتي:

- **الرحلة من أجل طلب العلم:** وذلك، لما للعلم من فضل وشأن عظيم؛ فالشريعة الإسلامية دعت إلى تعلم جميع العلوم من: أصول دين، وعلوم فقه، وأحكام. ويلحقبالتفقّه في الدين: كل علم يعد في وسائل الرسوخ فيه؛ كالنحو، والبلاغة، وحتى العلوم التي تسهم في قوام الأمة، وصلاح حال أفرادها ومجتمعاتها من أجل سلامتها من أيادي أعدائها، من وسائل القوة.
- **الاعتبار بأحوال الأمم الماضية:** ذلك أنّ الإنسان المسافر، يعيش تجربة السفر والرحيل الأبدي، حيث يذكّر أنه سيأتي يوماويرحل عن هذه الدنيا، فهي دارُ فناء لا دارُ بقاء، فعليه أن يأخذ العبرة من أسلافه وحيطه، ويلحق بذلك: أخذ العبرة من أحوال الأمم الماضية، من خلال آثارها، أو الأمم الحاضرة، من خلال واقعا المعيش.
- **الرحلة فرارا بالدين أو حفظا للنفس:** إذ أرض الله واسعة، وواجب الإنسان، إذا لم يستطع أن يغيّر واقعه المؤلم، غادر ديار الظلم والاستبداد، إلى ديار الحرية والعدل، ما دام يحافظ على هويته، وأصالته، وشخصيته، وقيمه[2].

2/2 مثبطات الرحلة:

أشار الشيخ الخضر إلى أهم المثبطات التي يواجهها الرحالة أثناء قيامه برحلته، ولا يقصد بها تلك العوائق التي ليس في استطاعة الشخص علاجها؛ كضياع ماله، وفراق الأهل، ومخافة الوقوع في ضيق العيش، وإنّما قصد بالمثبطات: ما يمكن أن يعترض النفوس الضعيفة، فيغلبها على أمرها.

1- محمد الخضر حسين: **موسوعة الأعمال الكاملة، (الرحلات)**، جمع وتوضيب: علي الرضا الحسيني، منشورات دار النوادر، بيروت، ط.1، 2010،مج11، ص: 6.

2- محمد الخضر حسين: **موسوعة الأعمال الكاملة، (الرحلات)**،مج:11، ص: 7.

- **ومن هذه المثبطات:** مفارقة الرجل ما ألفه، وتعوّده في بلده من معيشة مترفة، أو ما يعزّ عليه مفارقته من أهل، وأقارب، وأصدقاء.
- ومن المثبطات الجهل بقيمة الشخص: وذلك أن يجد الرحالة في البلد الذي رحل إليه من لا يعرف قدره، أو علمه وأدبه، فيجد صعوبة التكيّف والتأقلم معهم، فيحزّ ذلك في نفسه، ويشعر بعمق غربته، واغترابه، خاصة إذا عدم الصبر والتحمّل، أو عجز عن استمالتهم إليه، وهذه حكمة السفر، إذ لم يوصف السفر بالسفر، إلاّ لكونه يسفر، ويكشف عن أخلاق الرجال، ومعدن تكوينهم[1].

ولا يكتفي الشيخ الخضر بوصف الظاهرة (مثبطات السفر والرحلة)، بل يحاول تقديم الحلول، أو وصف العلاج، إذ إنّ باستطاعة الرجل معالجة هذه المثبطات الناشئة عن ضعف النفس، وقلة الصبر على المكاره، بأن يضع أمام كلّ من تحدثه نفسه بالتقاعس في ارتياد السفر والرحلة عرضا لفوائد الرحلة الهادفة، كالرحلة العلمية أو الأدبية، وذلك بتعزيز الثقة في النفس، وإبراز الغايات النبيلة، والعواقب الحميدة، التي يجني ثمرتها الطيّبة النافعة صاحب الرحلة.

فمن فوائد الرحلة: تشعّب منافعها على الفرد والجماعة، ذلك أنّ الذين رحلوا من العلماء والأدباء قد سعوا إلى تحقيق غاياتهم بشتى الوسائل، متكبدين عناء السفر، مزودين بقوة جسدية ونفسية، يتحدون بها كل الصعاب. ولقد حصر لنا فضيلة الشيخ الخضر جملة فوائد من الرحلة نلخّصها في ما يلي:

- أثر الرحلة في حياة الراحل: حيث تزوده بالمعارف، والعلوم، والفنون، وهو يتنقّل في الأماكن؛ يلتقي أهل العلم والفكر والأدب. يقول الشيخ الخضر: "إن من أنفس ما يكسبه الرجل في رحلته: أن يعلم أشياء لم يكن يعلمها من قبل، فكم من عالم لم يبلغ المقام الذي يشار إليه بالبنان إلا بالرحلة[2]. وهذا ما عبر كذلك عنه ابن خلدون في (المقدمة) بقوله: "إنّ الرحلة في طلب العلم، ولقاء الأساتذة، مزيد كمال من التعلم". وختم به مقالته، بقوله: "فالرحلة لا بد منها في العلم؛ لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ والتلقي عن الرجال"[3].
- اكتساب الخلق القويم: ومما يستفيد به الرحالة من رحلته أنها تمكنه من اكتسب أخلاق طيبة حميدة، كخلق الصبر على المتاعب البدنية، والآلام النفسية، والاقتداء بالغير.
- وقد يصادف الرجل في وطنه سلطاناً طاغياً، أو حاكماً جائراً، فينكّد عليه معيشته؛ ويضطره لمغادرة الأوطان، والارتحال إلى بلد آخر ينشد فيه العدالة والحرية.

1- الخضر حسين: الموسوعة، (**الرحلات**)،مج11، ص:8.
2- الخضر حسين: الموسوعة، (**الرحلات**)،مج 11، ص: 10.
3- ابن خلدون عبد الرحمن: **المقدمة**،(مرجع سابق) ص: 226.

- وقد يكون السفر سببا في رفع شأن صاحبه، خاصة إن كان من النوابغ الأذكياء، أو من العلماء العباقرة، أو الأدباء الموهوبين.
- وقد يخشى من عدم الازدياد في العلم أو لنشره، لضيق عيشه في وطنه، فيرحل حيث يلقى ما يساعده على أن يقبل على العلم والمعرفة بنفس مطمئنة.
- ولعل ما يظفر به الرجل الفاضل في رحلته: تجديد الصحبة، واكتساب الصداقات، والتعرّف إلى الرجال؛ فكل بلد يرتحل إليها يصادف من أهل الهمّة والمروءة والعلم، والأخلاق ما يعزّز به سلوكه؛ وينمي بها أخلاقه وقيمه[1].

3/2 ماذا يستفيد الوطن من رحلة الأبناء:

- إنّ من فضل الرحالة على بلده: أن يعود إليها برصيد وافر من العلوم والفنون، التي اكتسبها في أثناء رحلته، قصرت الرحلة أم طالت، ويكون قد انتفع بعلم أهلها؛ لينفع به وطنه، خاصة إذا كانت تعاني ركودا حضاريا وعلميا.
- وقد يرحل العالم أو الأديب بعلمه وأدبه الغزي، وينزل بين جماعات من بلاد مختلفة، فيعكس صورة بلده وشعبه، رافعا من شأنها وشأنهم في عيونهم، يصبح بها مثالا عنهم في التميّز العلمي والأدبي، وصورة طيّبة لهم في القيم والأخلاق[2].

4/2 ماذا تفيده البلدان المستقبلة من الرحالة:

تعد الرحلة اليد التي تمدّ لتقرب شعوبا إلى شعوب، وحضارات إلى حضارات، وثقافات إلى ثقافات.. على الرغم من الاختلاف في الألسن، والألوان، والعادات والأعراف، فعلى العالم أو الأديب - بالنسبة إلى الشيخ الخضر- أن يمنح علمه وأدبه وقيمه للبلاد التي فتحت ذراعيها لاحتوائه، فيبذل قصارى جهده أن يكون أحسن سفير لبلاده، وأن يحسن النفع والانتفاع؛ لأنّ الاستفادة من الحضور البشري أفضل – دائما – من الاستفادة التي تتمّ عن طريق الكتب، ووسائل العلم والمعرفة[3].

5/2 أثر الرحلة في تنمية العلوم:

يرى الشيخ الخضر أنّ من فضائل "الرحلة": أنّها تسهم في نماء العلوم واتساع دائرتها؛ لأن انتشار العلماء في الأمصار، وتدوينهم للأهم المعارف، يثمر العلوم. يقول الشيخ الخضر:

1- الخضر حسين: الموسوعة، (**الرحلات**)،مج 11، ص: 12، 13.
2- ينظر:الخضر حسين: الموسوعة، (**الرحلات**)،مج 11، ص: 13، 14.
3- ينظر: الخضر حسين: الموسوعة، (**الرحلات**)،**مج11**، ص: 14.

".. كم من كتاب – يعدّ في علمه من أمهات الكتب – هو وليد الرحلة؛ ذلك أنّ (أسد بن الفرات)، الراحل من القيروان إلى الشرق، ورد مصر، بعد أن تلقى العلم في الحجاز والعراق، وألقى على (ابن القاسم) أسئلة يطلب الجواب عنها على مقتضى مذهب الإمام مالك، وجمع تلك الأسئلة وأجوبتها في كتاب يسمّى "الأسدية"، ثم رحل (سحنون) من القيروان بـ "الأسدية" إلى (أبي القاسم)، وعرضها عليه، وهذّبها، وأضاف إليها مسائل أخرى، وصارت تسمى "المدونة"[1].

أضف إلى ذلك أنها تحافظ على جانباً عظيماً من التاريخ، وذلك من خلال تدوين الرحالة كل ما كان يصادفه أثناء رحلته من مشاهد ووقائع وأحوال الأمم التي زارها فيحفظها في كتب مثل: رحلة ابن بطوطة، ورحلة العبدري، ورحلة ابن جبير، ورحلة خالد بن عيسى البلوي، وغيرها؛ فلقد تضمنت هذه الرحالات معارف غزيرة لا نجدها حتى في كتب التاريخ[2].

6/2 أثر الرحلة في ثراء الأدب:

إن شأن أثر الرحلة في ثراء الأدب لا يقل عن شأنها في ثراء العلم، فكم من رحالة تميز أدبه بأسلوب نثري وشعري معا، وكم من رحالة ينظم قصيدة حين يعزم على الرحلة؛ لإلقائها بين يدي ملك، أو وزير، أو وجيه، مثل قصيدة:

أَدْرِكْ بِخَيْلِكَ خَيْلِ اللَّهِ أندلُسَاً إنَّ السَّبِيلَ إلَى مَنْجاتِها دَرَسَا

فإن صاحبها (ابن الأبار الأندلسي)، الراحل من الأندلس، قد نظمها، استنجاداً لأمير تونس، فألقاها بين يديه.

ولعل الأدب، بشعره ونثره، هو أقرب سند وأنيس للإنسان في سفره، وتغرّبه، وأقصر سبيل للبوح بمشاعر الشوق والحنين إلى الأهل والأوطان، وربما نجد أجمل قصائد الشعر، وأروع مقاطع النثر، في تراثنا الأدبي، هي وليدة الظروف النفسية، والحالات الوجدانية التي يعيشها الإنسان في رحلته[3].

1- الخضر حسين: **الموسوعة، (الرحلات)،مج11**، ص: 15.
2- ينظر: الخضر حسين: **الموسوعة، (الرحلات)،مج11، ص**: 16.
3- ينظر: الخضر حسين: الموسوعة، **(الرحلات)،مج11**، ص: 16.

3/أنواع الرحلات عند الإمام الخضر:

حملت ظروف مختلفة الشيخ الخضر إلى السفر والارتحال، حيث يمكن إدراك أنواع رحلاته، من خلال الدوافع التي حملته إلى ذلك. ومن هنا، نصادف أنواعا من الرحلة قد قام بها محمد الخضر، منها: ما هو اضطراري، ارتبط بمضايقات الاستعمار، أو الاستبداد، ومنها ما هو لأجل السياحة، ومنها ما ارتبط بشعوره الوطني والقومي والإسلامي، وما تحمله من ظروف سياسية واجتماعية وعقائدية، على أنّ أشهر رحلات الخضر، ما كان دافعها علميا.

1/3 الرحلة السياسية :

كانت سياسية التضييق التي مارسها الاستعمار الفرنسي على الشيخ في تونس، بوصفه شخصية متعلمة، مثقفة، خريجة جامع الزيتونة، من أهم أسباب هجرته الأول من تونس إلى الأستانة، إذ اتهم ببث الفتنة والتحريض على الثورة، من خلال نشاطه الصحفي، وكتاباته الشعرية المنددة بالاستعمار الفرنسي على بلاد المغرب العربي. لكن، عند عودته – مجددا – إلى تونس، اضطر إلى الهجرة ثانية بسبب الأجواء الخانقة التي كانت تعيشها من ظلم و استبداد.

2/3 الرحلة القومية:

نظرا لأوضاع العالم الإسلامي الذي مارس عليه الاستعمار الأوربي سياساته التوسعية وأساليبه الاستبدادية، انبرى الشيخ الخضر بقلمه، ولسانه، للتصدي له، يفضح سياساته، ويكشف مخططاته، مساندا قضايا التحرر في الوطن العربي، متبنيا مبادئ القومية والانتماء الإسلامي، إذ نجده يدعو إلى الخلافة الإسلامية، حاثا المسلمين على مساندة الأتراك في حربها المقدسة، بعيدا عن الحسابات السياسية والقومية الضيقة، ناظرا إليها على أنّها علم كل مسلم في إقامة دولة الخلافة من جديد. ولقد ارتحل إلى بلاد الشام، وإلى تركيا، ليقوم بمهمة التنوير، والدعاية لذلك.

3/3 الرحلة السفارية:

وهي الرحلة التكليفية، التي أوكلتها السلطة العثمانية (التركية) إليه حين كلّف بمهمة رسمية من السلطة التركية إلى العاصمة الألمانية (برلين) للإثارة البلبلة في صفوف الجنود الفرنسين، مستهدفا الجنود المغاربة والأفارقة المسلمين المنتسبين إلى الجيوش الفرنسية، يحثون على التمرد، والوقوف إلى جانب الألمان المتحالفين مع الأتراك، أو تجنّب المواجهة المسلّحة على الأقل ولعلّ رحلة برلين قد مثّلت أنموج واضحا لذلك.

4/3 الرحلة السياحية:

ولقد كانت بدافع الرغبة الذاتية والحاجة الإنسان إلى السفر، فالإنسان – بطبعه – ميال إلى حب الاستطلاع، والاستكشاف. ولعلّ هذا النوع من الرحلات قد يظهر لنا من خلال قيام الشيخ الخضر برحلته الأولى إلى الجزائر، إذا يشير في مقدمة حديثه عن رحلته الجزائرية، إلى نية قيامه بسياحة في أطراف المملكة الجزائرية، بدافع معرفة نوع الصلات التي كانت تربط بين تونس والجزائر، يضاف إلى ذلك، انشداده إلى أصوله العائلية الجزائرية. وقد تحمل رحلة (برلين) وجها من وجوه الرحلة السياحية من خلال الحرص على اكتشاف أسباب رقي المجتمع الغربي، وازدهاره، إلى جانب معرفة مواطن ضعف المجتمع الشرقي، وانحطاطه[1].

5/3 الرحلة العلمية:

وهي الرحلة في طلب العلم، وهي من أهم الدوافع التي كانت تحفز الشيخ للارتحال، إلاّ أن هذا النوع قد طغى، بشكل كبير، على رحلته الثانية إلى الجزائر، وهي موضوع دراستنا، حيث كانت رحلة علمية بامتياز، ارتكزت على مجالسة العلماء، ومناقشتهم في أهم القضايا العلمية، والدينية، وزيارة أهم المعالم الثقافية الإسلامية والصروح العلمية في الجزائر.

"إنّ موقف الإمام الخضر من الرحلة والراحلين، والتحفيز الملحاح عليها قد يؤكد أنّ الإمام قد جرّب الرحلة، بل سعى إليه سعيا، ذلك ما نلمسه بوضوح في ما كتب عن أسفاره. فقد قام الشيخ بعدّة رحلات علمية إلى الشرق والغرب.

- الرحلة الأولى: 1889: زار فيها طرابلس الليبية
- الرحلة الثانية: 1903: زار فيها الجزائر.
- الرحلة الثالثة: 1904: عاد لزيارة الجزائر.
- الرحلة الرابعة: 1912، من الشهر السابع إلى الشهر الحادي عشر: زار خلالها: مالطة، ومصر، وفلسطين، وسورية، ولبنان، وتركيا.
- الرحلة الخامسة: 1913: زار: مصر، والحجاز، والشام، ثم ألبانيا، وبعض بلاد البلقان، واسطنبول، وألمانيا.
- الرحلة السادسة: 1920: ارتحل إلى القاهرة، حيث استقرّ فيها إلى آخر حياته، وفي أثنائها قام برحلات إلى: سوريا ولبنان والحجاز.

ثم كان شوقه للعودة إلى تونس مسقط رأسه، ومهد صباه، ومعهد شبابه، فبدأ بترتيب عودته، بعد استقلالها، لكن المنية تدركه، بعيدا عن وطنه، وكانت رحلته إلى ربّه في الثالث من فبراير، من عام 1958"[2].

1- ينظر: أبو بكر مرزوق: **الرؤية الرحْلة عند الشيخ محمد الخضر حسين الجزائري**، مجلة علوم اللسان، مخبر علوم اللسان، كلية الآداب واللغات، جامعة الأغواط، ع.3، جوان 2013، ص: 9.

2- أبو بكر مرزوق: **الرؤية الرحْلة عند الشيخ محمد الخضر حسين الجزائري**، ص: 12.

4/ رحلات الشيخ الخضر:

1/4 الرحلة الجزائرية: *

كانت رحلته الأولى إلى الجزائر في سنة (1321هـ/ 1903م)، أين زار مدن الشرق دون أن يصل إلى الجزائر العاصمة. وفي السنة التي تليها، عاد إليها، في شهر رمضان (سنة 1322هـ /1904م)، زار خلالها أمهات مدنها، التي لم يتمكّن من زيارتها أثناء رحلته الأولى، حيث شارك في المجالس الأدبية والدينية، وزار المعالم الثقافية في الجزائر العاصمة.

2/4 الرحلة التركية:

كانت رحلته الأولى إلى تركيا اضطرارية، حينما قام بحملة لمناصرة الشعب الليبي في حربه ضد إيطاليا سنة 1911م، فاتّهمته السلطات الفرنسية ببث روح العداء للغرب، وضيَّقت عليه. فهاجر إلى تركيا عن طريق مصر وسوريا، ثم عاد مرة أخرى إلى تونس، ليهاجر منها ثانية إلى الشام، ثم إلى تركيا من جديد، حيث عمل محررًا عربيًّا بوزارة الحربية العثمانية، وشارك في مفاوضات سياسية خلال الحرب العالمية الأولى، ثم عاد إلى دمشق، فاعتقله الأتراك عام 1916م لعدّة أشهر، ثم عاد إلى تركيا، وبعدها رحل إلى ألمانيا، وعاد مرة أخرى إلى تركيا، ثم استقر في دمشق.

3/4 الرحلة المشرقية:

كانت بداية رحلته المشرقية في (18 جويلية 1912م)، عن طريق البحر، قاصدا دمشق، إلاّ أنّه، في طريقه إليها، مرّ بالقاهرة، فلبث فيها مدة وجيزة، وتعرّف فيها إلى العديد من العلماء أمثال: (الطاهر الجزائري)، و(محي الدين الخطيب)، و(أحمد تيمور باشا)، ويتعرّف على النهضة الفكرية، والتنويرية التي تشهدها مصر. ولقد سافر إلى القسطنطينية، التي وصلها في (ذي القعدة سنة 1330 هـ /1912م)، بعدها، يعود إلى دمشق، ومنها يتوجّه إلى المدينة المنورة سنة (1330هـ/ 1913م) .

4/4 الرحلة الألمانية:

قام الشيخ الخضر برحلته الأولى إلى ألمانيا سنة (1333هـ/ 1915م)، حيث أرسله (أنور باشا) إلى العاصمة الألمانية، في مهمّة رسمية دامت تسعة أشهر، حيث استطاع أن يحقّق لنفسه مجداً كبيراً، إذا استطاع أن يتعلم اللغة الألمانية، إلى أن عاد إلى الأستانة. أم رحلته الثانية، فكانت سنة (1335هـ/1917م)، إذا أرسله (أنور باشا) في مهمة ثانية، فالتقى

*ينظر: الملحق

خلالها زعماء الحركات الإسلامية، ومنها عاد إلى الأستانة، ثم إلى دمشق. وفي سنة (1337هـ/1918م)، عاد إلى ألمانيا للمرة الثالثة، فقضي بها سبعة أشهر، ليعود بعدها إلى دمشق، لتصادف عودته إقامة الحكم العربي، بقيادة (فيصل بن الحسين) سنة (1337هـ/1919م)، لكن الاحتلال الفرنسي أحبط هذه الأمل العربي سنة (1337هـ/1920م)، ففكر الشيخ في العودة إلى تونس بعد أن احتلت دمشق، لكن المطاف ينتهي به في القاهرة، فألقى بها عصا ترحاله، الذي استمر عشر سنوات[1].

1- ينظر: **محمد الخضر حسين (حياته وآثاره)**، ص:61. كما ينظر: الخضر حسين: **الموسوعة، (الرحلات)**،مج 11: ابتداء من صفحة: 26.

الفصل الثاني

بنية المضمون في الرحلة

1- أماكنُ وردت في الرحلة

2- أشهر الرجال الذين وردوا في الرحلة

3- قيم واردة في الرحلة

تمهيد:*

قبل الخوض في تعريف رحلة الأمام محمد الخضر حسين إلى الجزائر، قد يحتّم علينا المقام على أن نقف وقفة عند رحلته الأولى إلى الجزائر، التي لم ينشر عنها صاحبها وصفا، إلا أن الدليل الوحيد الذي يثبت قيامه بها، إشارته إليها في مقدمة حديثه عن الرحلة الجزائرية الثانية، حيث يقول:

" كنت أُسعفت فيما سلف من الزمان بإجراء سياحة في أطراف المملكة الجزائرية، وبقيت النفس مستشرقة إلى إعادتها تارة أخرى إلى مدينة الجزائر نفسها؛ لنكون على بينة من مقدار ما تبلغ إليه حالتها العلمية، وجلية من أمر أخلاق أهلها الغالبة، وعاداتها العامة؛ فإن لسان العيان أفصح من لسان البيان. وما برحت هذه الأمنية تتمثل في الخيال، وتجول في العقل، حتى مكنتنا الفرصة من توطيدها وإبرازها إلى حيز الوجود في شهر رمضان المعظم من هذه السنة" [1].

أم تاريخها، فلا توجد وثائق تدلّ عليه، إلاّ ما ذكره في هذه الرحلة، التي ندرس، عند حديثه عن بلدة (سوق أهراس)، وعن المدرّس (الشيخ عبد الحميد)، وقد التقاه لما زارها سابقا. يقول الشيخ الخضر:

"... ويوجد في هذه البلدة [سوق أهراس] مدرس آخر، وهو الشيخ عبد المجيد، كنت في السنة الفائتة أتيت المسجد الذي يدرس فيه «المختصر الخليلي»، وقد سبقت لنا معرفته بالحاضرة، فرحب بنا، وأحسن لقاءنا، ثم سعى بنا إلى محل الدرس، فجلس عن يسارنا، وشرع في تقريره بطريقة مقتصدة خالية من التطويل، بعيدة عن الاختصار" [2] .

يتّضح بذلك، أنّ الرجل قام برحلته الثانية إلى الجزائر، في شهر رمضان سنة 1322هـ /1904م، ولقد كتب عنها في العددين: الأول والثاني من مجلة "السعادة العظمى"، التي أصدرها الإمام في تونس عام 1322هـ، كما نشرت في كتابه "السعادة العظمى".

لقد انطلق الشيخ محمد الخضر حسين، في رحلته، متخذا سبيله في البر؛ لأنه أجمل منظرا، وأقل خطرا، فزار كل من مدينة سوق أهراس، وتبسة، وعين البيضاء، وقسنطينة، وباتنة، إلى أن وصل إلى الجزائر العاصمة، التي كانت هدف رحلته، حيث ركز اهتمامه في زيارة المساجد والمكتبات، خاصة المكتبة العمومية، على الرغم من أن زيارته لها كانت في يومه الأخير من رحلته، كما شارك في العديد من المجالس التي ألقى فيها الدروس الدينية والعلمية، مما أتيحت له الفرصة

***ينظر**: الملحق

1- **ينظر**: محمد الخضر حسين: **موسوعة الأعمال الكاملة (الرحلات)**، ص: 26. وينظر: محمد صالح الجابري: خمس رحلات إلى الجزائر (1904-1932)، دار السويد للنشر والتوزيع، ط.1، 2004، ص: 27

2- محمد الخضر حسين: **الموسوعة (الرحلات)**،ص: 29.

التعرف إلى عدد كبير من شيوخ الجزائر، وعلمائها، الذين جلس إلى دروسهم، فأخذ العلم عنهم، وناقشهم فيه. وكان من بينهم العلامة (عبد القادر المجاوي)، والشيخ (عبد الحليم بن سماية)، ممّا يفهم منه أن فضيلة الشيخ استطاع أن يحقّق هدفه المنشود؛ باطّلاعه على أهم الركائز الثقافية والدينية في الجزائر.

1- أماكنُ وردت في الرحلة

مما لا شك فيه أن تفاعل الأمكنة في نص الرحلة يعد بمثابة مكون أساسي لها؛ إذ يحمل بين طياته تفاعل الأحداث والمواقف، التي تصادف الرحّالة أثناء رحلته. وبذلك، فإن اهتمام الرحّلة بالأماكن يعود، بالدرجة الأولى، إلى تفاوتها واختلافها، وهذا خاضع إلى مدى أهميتها الاستراتيجية من حيث البعد القيمي بالنسبة للرحلة وأهدافها.

لقد أولى الشيخ الخضر، في رحلته، الأماكن اهتماما خاص، باعتبارها فضاءات تعليمية، تعلمية، علمية، تمثلت في المساجد، والمدارس، والمكتبات، وحتى المحلات التجارية، مثّلت دورا حيويا في الرحلة، حيث كانت مكانا لالتقاء بأهم علماء الجزائر، ومناسبة لمناقشة القضايا العلمية، وبذلك، عكست لنا الرحلة صورة المعالم الثقافة في الجزائر، وهذا ما سنقف عليه من خلال محطات هذه الأماكن التي زارها.

1-1 في مدينة سوق أهراس:

كان الدخول إلى هذه المدينة من الحدود التونسية بوسيلة القطار، والمعالم المكانية التي توردها الرحلة عامة، هي جزء من أحياز المدينة النووية [منزل/ مسجد/ محطة قطار/ شوارع عامة]، حيث ذكر الرحالة: مدينة سوق أهراس الصغيرة المساحة، محطة القطار، منزل الإقامة، شوارع المدينة الفسيحة، ببناءاتها المتناسبة، مسجد المدينة، مسجد آخر كان زاره الشيخ الخضر في رحلة سابقة للمدينة.

1-2 في مدينة تبسة:

لم تورد الرحلة من الأماكن إلاّ ما كان عاما، مثل سابقتها (مدينة سوق أهراس)، حيث ذكر: محطة القطار، مكان الإقامة، مسجد المدينة.

1-3 في مدينة عين البيضاء:

تغير وسيلة النقل (القطار)، لانعدامه بين المدينتين وكانت الوسيلة – هذه المرة – عربة تجرّها الجياد. وذكر من الأماكن في هذه المدينة: المنزل الذي نزله حيث الاجتماع ببعض أهل العلم، والمسجد حيث تؤدى الصلاة، والتراويح، ومسجد ثان التقى فيه بعض أهل العلم.

1-4 في مدينة قسنطينة:

كانت الوسيلة إليها استعمال الرتل[1]،وقصد به قطار السكة الحديدية. ومدينة قسنطينة مدينة عريقة بأثارها القديمة ومعالمها التاريخية، وصروحها الدينية والعلمية، حيث أشار الرحالة إلى مدرسة إسلامية معدّة لتخريج القضاة والعدول، كما أورد أسماء جوامع شهيرة: الجامع الكبير، والجامع الأخضر، والجامع الكتاني. مع الإشارة إلى مكتبتها العمومية،

والملاحظ عند الكلام عن مدينة قسنطينة ذكر الرحالة مدينة (المسيلة) عرضا، لمسألة دينية كان يتدارسها مع علماء هذه المدينة، وطلاب العلم فيها.

1-4-1 المعالم الدينية المذكورة في مدينة قسنطينة:

1-4-2 الجامع الكبير:

يقع بين المساحة الممتدّة بين المكان المسمى "البطحاء"، والمكان المسمى "سوق الجلود". كان مقرا لشيخ الإسلام في العهد العثماني، وتشهد الكتابة العربية المنقوشة على سارية محرابه أنّه بني بعد القرن السادس الهجري (603 هـ)، حسب بعض الروايات[2].

1-4-3 الجامع الأخضر (أو جامع سيدي الأخضر):

وهو النعت الذي نعت به سكان قسنطينة هذا المعلم الديني، منسوبا إلى ولي صالح في تلك المنطقة يدعى (سيد الأخضر). وقد بني الجامع الأخضر أمر من الباي حسن بن حسين الملقب أبو حنك (المتوفى سنة 1167)، في عام 1157- 1743م، كما يدل عليه النقش الكتابي المثبت على لوح من الرخام فوق باب المدخل، وهو من مساجد المذهب الحنفي، البديعي الصنعة، وبه مكتبة عمومية، ومقبرة تضم عدة ضريح الباي حسن، وأفراد عائلته[3].

1- الرتل في اللغة مجموعة الخيول المتتابعة، ومنها كانت تسمية عربات القطار.

1- أبو القاسم سعدالله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط.1، 1998، ج5،صص: 81 ،82 .

2- أبو القاسم سعدالله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، ص:84.

1-4-4 جامع سيدي الكتاني:

أنشأه صالح باي بن مصطفى،عام1190هـ، ولقد جلب له دعائمه الرخامية، وأهم مواد بنائه، وزينته، من إيطاليا[1]. ويشير النص الرحلي إلى منبره الرخامي، وقد رقم فيه بيت من الشعر، يتضمّن اسم مؤسسه (صالح باي)، وتاريخ تأسيسه (1204هـ).

1-5 في مدينة باتنة:

تظهر مدينة (باتنة) في وصف الشيخ محمد الخضر حسين، مدينة متحضرة، حيث الشوارع الفسيحة، المتناسقة البناء، المنارة بالكهرباء.ومن العلامات المكانية الجديدة الواردة في الرحلة، ذكر المحال التجارية، التي تتّخذ بعد أداء مهمتها التجارية كمنتدى علمي يجمع إليه قطاعا من مثقفي المدينة، ومتعلّميها، وأدبائها.

1-6 في مدينة الجزائر (العاصمة):

1-6-1 ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي:

هو ضريح الولي الصالح سيدي (عبد الرحمان الثعالبي) [1379م-1471م]: العالم المصنف الولي الصالح، الصوفي المتكلم، الفقيه القاضي. وكا من مؤلفاته: "الجوهر الحسان في تفسير القرآن". دفن بـ "جبانة الطلبة"، في مدينة الجزائر، وأضحى ضريحه من أكبر المزارات بالمدينة[2]، حيث تضم زاويته مسجدا، وقبة؛ بها عدة أضرحة، وجبانة، ومساكن[3].

1-6-2 المدرسة الثعالبية:

هي مدرسة رسمية لتخرج القضاة والعدول، أنشأها الفرنسيون وأسموها الثعالبية[4].

1-6-3 الجامع الجديد:

ترجع وثائق بنائه إلى سنة 1660/1070، ولقد ظل مهددا بالهدم إلى فاتحة هذا القرن. كان فخم المنظر، يندهش القادم من المرسى لمرآه[1].

1- أحمد غريسي: محمدحمدان الونيسي ودوره في بعث الفكر التحرري الوطني في الجزائر (1856- 1920م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر، جامعة العربي التبسي- تبسة، 2016،ص: 18، نقلا عن شعيب محمد المهدي: **أم الحواضر في الماضي والحاضر تاريخ مدينة قسنطينة**، مطبعة البعث، الجزائر، 1980، ص: 234 - 235.

2- عبد المنعم القاسمي الحسني، **أعلام التصوف في الجزائر (منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى)**، دار الخليل القاسمي، ط1، جامعة ورقلة، 2005، صص: 194 - 196.

3- أبو القاسم سعدالله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، ص:122.

4- أبو القاسم سعدالله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، ص: 123.

1-6-4 الجامع الكبير:

ويسمى أيضا "الجامع الأعظم"، وهو من أقدم المساجد في الجزائر، ولقد بقي خلال العهد الاستعماري على حاله تقريبا، كما بقي محافظا على الوظيفة الدينية وخدمة المسلمين[2].

1-6-5 ضريح الشيخ عبد الرحمان الأزهري (1715م – 1793م):

هو ضريح وليّ كبير، وقطب شهير، صاحب الكرامات معروف وروضة في وسط الجزائر ترتاح لعبادة الله فيها نفوس الصالحين[3]، ودفن بزاويته[4].

1-6-6 مسجد محمد الشريف:

يقع هذا المسجد في قلب القصبة وبالضبط في شارع الإخوة بشارة، وقد كان يعرف بـ "زاوية سيدي محمد الشريف"، ويوجد ضريح هذا الولي داخل المسجد، ويوجد على القرب منه نصب منقوش؛ يذكر تاريخ وفاته، وقد كانت سنة 948 هـ/ 1542م[5].

1-6-7 المكتبة العمومية:

أسسها الفرنسيون في الجزائر سنة 1835، ولقد كان الهدف من إنشائها: استقبال الوثائق والمخطوطات والكتب المطبوعة في تاريخ الجزائر وتاريخ العلوم ومساعدة المستوطنين على التعلم والتثقف[6].

ملاحظة: المحلات التجارية والبيوت:

يمثّل اجتماع الطبقة المثقفة، من العلماء،المدرسين، والأدباء، وطلاب العلم والمثقفين – عموما – في المحلات التجارية، والبيوت الشخصية، إشارات مهمة في رحلة الشيخ الخضر حسين، قد نفهم منها:

1-أبو القاسم سعدالله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، ص: 33- 34.

2- أبو القاسم سعدالله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، ص:25.

3- أبو القاسم الحفناوي: **تعريف الخلف برجال السلف**، طبع بمطبعة بيير فونتانة الشرقية في الجزائر، (1324 هـ - 1906 م)، ص: 469.

4- عبد المنعم القاسمي الحسني، **أعلام التصوف في الجزائر**، ص:318.

5- الحاج سعيد محمد: **مساجد القصبة في العهد العثماني (تاريخها ودورها وعمارتها)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإنسانية ،تخصص الحضارة الإنسانية، جامعة الجزائر، 2014 - 2015، ص: 100.

6- أبو القاسم سعدالله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، ص: 340.

– أنّها صورة لمعارضة السلطة الاستعمارية لكل شكل من أشكال التثقيف والتعليم قد يمثّل مصدر خطر لوجودها،مثل توعية الناس، وتعليمهم، وتثقيفهم، ما لم يكن تحت أشرافها المباشر.

– أنّ اتخاذ الجزائريين مثل هذه المحالّ التجارية مراكز تثقيفية يستترون خلفهاهو شكل من أشكال تعويض هذا الحرمان المعرفي والثقافي.

– أنّ حسنة هذه المحالات التجارية، ضمّها إلى جانب النخبة من العلماء، طبقة جديدة توسّع دائرة الصراع بين الجزائريين والسلطات الاستعمارية، ممثّلة في فئة: الأعيان، والتجار، والمثقفين.

– أنّ فكرة اتخاذ بيوتات بعض الأعيان قبلة لهذه اللقاءات، هي شبيهة بفكرة الصالونات، أو النوادي السائدة في بلاد المشرق.

– أن طبقة الأعيان من الأغنياء، والتجار الكبار، قد يكون لهم دورا فاعلا في تسيير مثل هذه النوادي، وحمايتها لإمكاناتهم المادية ولنفوذهم الاجتماعي والاقتصادي في أجهزة الإدارة الاستعمارية.

– أنّ بعض التجار الصغار، والأغنياء الحديثي العهد بالمال والجاه قد يكون لهم الدور أيضا في رعاية مثل هذه المبادرات العلمية، ما دامت تحقّق لهم جانبا من الشهرة والسمعة، وصناعة المجد.

– وقد تكون بعض المحالات التجارية مكانا طبيعيا لالتقاء المثقفين، كأن يكون المحل دكانا لبيع الكتب، وهذا النوع من المحال قد يدخل ضمن محظورات السلطات الاستعمارية أيضا.

وسوف نضرب أمثلة لهذه الأمكنة التجارية والأماكن الخاصة الداعمة:

أ/ محل أحمد بن مراد (دكان لبيع الكتب):

يقول الرحالة: ".. **وعرجنا في إيابنا على محل السيد أحمد بن مراد المعد لبيع الكتب، فالتقينا بالشيخ محمد بوشنب أحد المدرسين بالمدرسة الثعالبية..**"[1].

ويقول في موضع آخر: ".. **واجتمعنا بالعالم البارع محمد بن مصطفى خوجة**[2] **بدكان السيد أحمد بن مراد..**"[3].

1- الرحلة الجزائرية، مج:11،ص:36.

2- محمد بن مصطفى خوجة (1915- 1960م)، من العلماء البارزين في الجزائر.

3- الرحلة الجزائرية،مج:11، ص:39.

ب/محل علي بن الحداد: (محل تجاري):

يقول الرحالة: ".. **فالتقينا بالسيد علي بن الحدادأحد أعيان تجارها الأفاضل، فبسط علينا من الحفاوة والترحاب رداء ضافياً، ولهذا الفاضل محل تجاري يتسامر فيه جماعة من أعيان العلماء والفضلاء، تعارفنا مع بعضهم في تلك الليلة..**"[1].

ج/ محل مصطفى بن الأكحل: (منزل العائلة):

يقول الرحالة: ".. **ودعانا السيد مصطفى بن الأكحل إلى منزله، وهو من أفاضل القوم، لا يحل بالبلد غريب، ولاسيما إن كان من أهل العلم، إلا وأكرم مثواه، وأحسن ضيافته، وحضر تلك المأدبة جماعة من أعيان العلماء؛ مثل العالم الفاضل: الشيخ بوقندورة، والشيخ عبد الحليم، والشيخ محمد بن مصطفى خوجة..**"[2].

2- أشهر الرجال الذين وردوا في الرحلة:

عكست رحلة الشيخ الخضر صورة للنخبة المثقفة في الجزائر زمن الاستعمار، من علماء وأدباء حملوا على عاتقهم مهمة تعليم الناس وبث الروح الوطنية فيهم، برغم محاولة الاستعمار الفرنسي في تهميش الهوية الجزائرية، وطمسها.

لقد تميزت هذه النخبة بأخلاقها السامية، وفصاحة ألسنتهم الساحرة، مما جعل الشيخ يعجب بهم، ويوليهم اهتماما خاصا؛ بذكر محاورته لهم، ووصفه لبعضهم. ولعل طبيعة هذه الرحلة العلمية قد تفرض علينا تقصى الرجال الذين ذكرهم في الرحلة، ومحاولة البحث عن مهمة كل واحد منهم في زمن أداء الرحلة، إلا أننا لم نوفق في معرفة بعض الشيوخ.

ومن أهم الرجال الذين ورد ذكرهم في الرحلة، والذين تمكّنّا من تراجمهم: نجد:

2-1 الشيخ عبد القادر مجاوي (1848-1913):

ولد الشيخ عبد القادر المجاوي المشاوي*بطنجة سنة 1264هـ/ 1848م، وكانت أسرته قد هاجرت إلى المغرب الأقصى من تلمسان بعد سقوطها في يد المحتل الفرنسي. ولقد تكوّن الشيخ المجاوي جامعة فاس، وجامعة القرويين، وبعد وفاة والده، الذي كان قاضي تلمسان، ومفتيها، وشيخ علمائها، يعود إلى الجزائر، ليستقر بقسنطينة، حيث نشط في التعليم، والدعوة والإرشاد، قبل أن ينتقل إلى مدينة الجزائر، بأمر من فرنسا، قصد الحدّ من نشاطه، وإضعاف قوة تأثيره، الذي تجلى في تزايد تلامذته، وهو روّاد النهضة الثقافية الجزائرية، أمثال: حمدان لونيسي، وعبد الحليم بن سماية، وأحمد

1- الرحلة الجزائرية،مج:11، ص:34.

2- الرحلة الجزائرية، مج11، ص:40.

*نسبة إلى قبيلة مجاوة (مشاوة) بشمال المغرب الأقصى.

الحبيباتي، وأحمد البوعوني، ومصطفى المجاوي (وهو ابن الشيخ عبد القادر نفسه)، وعبد الكريم باش تارزي (مفتي الحنفية بقسنطينة).

كان الشيخ عبد القادر المجاوي يرى أن النهضة بالجزائر لا تقوم إلا بالعلم، ولذا استمر بالتدريس بالمساجد من أجل إسماع كلمته لكلّ الجزائريين، على الرغم من أن الإدارة الفرنسية قد عيّنته في كرسي التدريس بمدرسة "مسجد سيدي الكتاني" ثم "بالمدرسة الشرعية" بقسنطينة، سنة 1877. وفي سنة 1898، نقلت الإدارة الفرنسية الشيخَ المجاوي إلى مدينة الجزائر، ليبقي فيها أربع سنوات دون أي وظيفة رسمية، ولم يجد سوى التنسيق مع الشيخ عبد الحليم بن سماية، والتدريس في المدرسة العربية بباب الوادي.

توفي الشيخ عبد القادر المجاوي يوم 06 أكتوبر 1914*، بعد أن اضحى منهجه التوعوي خطرا حقيقيا يهدّد أمن فرنسا، وفكره الذي يجمع بين الأصالة والمعاصرة، فمن جهة كان رجل علم ودين على نمط العلماء السابقين، ومن جهة أخرى كان رجلا حداثيا يرى أن التطور والتقدم مبناه نهضة الأمة التي لا بد أن تقوم على الجمع بين العلوم الدينية والعلوم الدنيوية والجمع بين اللغة العربية ودراسة اللغات الحية.

وقد تذمّر من الوضع العلمي والثقافي المزري الذي يحياه الجزائريون. يقول عبد القادر المجاوي:

".. لقد ساءني ما رأيت في هذا الزمان من فتور المعلمين والمتعلمين حتى إن أهل قطرنا من إخواننا المسلمين القسنطينيين والجزائريين والوهرانيين قد تراكم عليهم الجهل، فإذا تباعدوا ضبحوا ضبوح الثعالب، وإذا تقاربوا قبعوا قبوع القنافذ ... وسبب ذلك هو عدم اعتنائهم بالعلوم التي بها تهذيب أخلاقهم وإصلاح منطقهم"[1].

2-2 الشيخ عبد الحليم بن سماية (1866- 1933):

وهو من أوائل المصلحين المعتنقين لمذهب الاصلاح، والداعين إليه. تولى التدريس بالجزائر العاصمة في ديسمبر (1896م)، ثم بالجامع الجديد سنة (1900م)، كما اشتهر أستاذا بارزا بالمدرسة الثعالبية حيث تخرج على يده جيل من المثقفين مزدوجي الثقافة[2].

*مات مقتولا بالسمّ على رواية أحد تلاميذه – الشيخ إبراهيم أطفيش – في ملتقى بقسنطينة.

1- مصطفى عبيد: **الروافد الفكرية للشيخ عبد القادر المجاوي** (وأثرها في توجهه وجهوده من أجل نهضة الجزائر 1870 – 1914م) ينظر الرابط: http://labs.univ-msila.dz/lerra2.

2- عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر** (من صدر الإسلام حتى عصر الحاضر)، مؤسسة نويهض للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط. 2، 1980، ص: 178.

ولد العلامة عبد الحليم بن سماية عام 1866 بالجزائر العاصمة. حفظ القرآن الكريم، ونال حظا وافرا من اللغة العربية والفقه والتوحيد والمنطق والبلاغة والفرائض والحساب. وله المام باللغة الفرنسية واللغة العبرية درس التوراة والإنجيل وتأثّر بمنهج محمد عبده، (الذي كان استقبله عند زيارته للجزائر سنة 1903)، إلى جانب كونه مقدم الطريقة التيجانية بالعاصمة.ومن بين مؤلفاته "رسالة اهتزاز الأطواد والربى من مسألة تحليل الربا "و"رسالة في التوحد والرد على شبه المبطلين والملحدين" و"الكنز المدفون والسر المكنون". وتوفي العلامة عبد الحليم بن سماية سنة 1933[1].

2-3 محمد بن مصطفى خوجة (1865- 1915م):

المعروف بـ (مصطفى الكمال). قضى حياته العلمية بين المسجد وجريدة "المبشر"* والتأليف[2]. عين مدرسا بجامع سفير (سنة 1895م) حيث أقرأ التفسير والفقه والتوحيد. ثمّ يعيّن سنة 1913م، وكيلاً على ضريح عبد الرحمن الثعالبي[3].

2-4 الشيخ محمد بن أبي شنب (1869- 1929م):

هو باحث وعالم بالأدب ، ألتحق بالتعليم من سنة 1888[4]، إلى أن عين مدرسا بالمدرسة الثعالبية سنة 1901م، توفيفي 05 فيفري 1929 ودفن بمقبرة سيدي عبد الرحمن الثعالبي[5].

2-5 الشيخ أحمد الحبيباتني:

هو أحمد مرزوق بن سعيد الحبيباتني: (1248هـ/ 1867م – 1355هـ/ 1936م). تلميذ العالم الجليل عبد القادر المجاوي التلمساني، وأستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس. من أئمة مدينة قسنطينة وفقهائها. كان يؤم الناس، ويدرس القرآن الكريم والفقه في كثير من المساجد، وكان يعتبر أهم ملجأ للناس يستفتونه في أمور دينهم ودنياهم. وقد حاول الاستعمار الفرنسي إثارة الفتنة بينه وبين جمعية العلماء المسلمين، باتهام الشيخ ابن باديس بالتخطيط لاغتيال الشيخ الحبيباتني، لكن الجميع تفطن يكيد المستعمر حين قصد النيل من مكانة ابن باديس وعمله الإصلاحي.

1-ينظر: عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر** ص: 68- 74.

* وهي صحيفة رسمية صدرت سنة 1847باللغتين العربية والفرنسية، كانت – على العموم – موجهة إلى الجزائريين.

2- عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر**، ص: 83.

3- عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر**، ص: 138.

4- عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر**، ص: 189.

5- خولة بديرينة: إسهامات النخبة الجزائرية الثقافية محمد بن أبي شنب أنموذجا (1869-1929)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تخصص التاريخ المعاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2013/2012، ص: 76.

2-6 الشيخ حمدان الونيسي (1856 – 1920م):

عين مدرسا بالجامع الكبير بقسنطينة سنة (1880 أو 1881م) ولا يكاد عمره يتجاوز الخامسة والعشرون، إلا أن انتهى به الأمر بطرده من الجامه الكبير سنة 1910 لأسباب ما تزال مجهولة[1].

2-7 الشيخ أحمد البوعوني:

عالم وأديب من تلامذة الشيخ ابن باديس. من شعره: قصيدة ألقاها في احتفالية ختم الشيخ عبد الحميد بن باديس لتفسير القرآن الكريم، ختمها بقوله:

وإنّ الشعـــــر ممـــــن عـــــاش قرنـــــا لكـــال هـــذان في الطفـــل الصغيـــر

ولـــــو عـــــاد الشـــــباب إليّ يومـــــا لقمـــت مقامـــات الفـــرزدق أو جريـــر

2-8 الشيخ بوقندورة المفتي الحنفي:

هو أحمد بن محمد بوقندورة الجزائري، تولى وظيفة الفتوى على مذهب الإمام أبي حنيفة بالعاصمة، وقد عمل قبلها معاونا قضائيا في محكمة الجزائر.

3 – قيم واردة في الرحلة:

أدرك الشيخ محمد الخضر حسين ما للرحلة من فوائد، يجنيها صاحبها، ويجنيها من يرحل إليهم، كما يجد فوائدها من يقرؤها من بعده، لعلّه يجد محفزا لأن يسلك طريقه في الاستكشاف، والتعرّف إلى الآخرين. ولقد أشار الشيخ الخضرإلى مزيّة الرحلة بقوله:

".. أرى كثيراً ممن وهبهم الله القدرة على الرحلة، وهيأ لهم وسائلها، لا يُقبلون عليها، وينصرفون عنها انصرافهم عن الأشياء التي يرونها خالية من كلّ فائدة ولذة. على أني أريد التنبيه لما في الرحلة من فوائد؛ ولأضعها أمام نشئنا، حتى إذا خطر لهم ما في الرحلة من حرج وعناء، نظروا إلى هذه الفوائد، فيخف وزن تلك المتاعب، وتذهب أمام أنظارهم غير محتفل بها"[2].

ومن هنا، يمكننا أن نصل إلى هذه المزايا في الرحلة، وفي رحلة الشيخ الخضر إلى الجزائر، من خلال الوقوف على بعض قيمها.

1- أبو القاسم سعدالله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج3: صص130- 132.

2-الرحلة الجزائرية، مج:11، ص: 6.

3-1 قيم ذاتية:

استطاع الشيخ الخضر أن يحقق هدفه المنشود، ورغبته التي سعى إليها من زيارته لبلاده الجزائر، التي هي أصل عائلته بعد أن كان قد زارها من قبل، حيث تمكن من اطلاعه على حالتها العلمية، وأمر أخلاق أهلها الغالبة، وعاداتها العامة، فهناك شارك في المجالس العلمية التي كانت تؤدى، فأفاد، واستفاد من علمائها الأفاضل، كل هذا يدخل ضمن دوافعه الشخصية، مما يعكس لنا القيمة الذاتية التي تضمنته رحلته.

3-2 قيم دينية:

تكمن قيمتها الدينية في كون أن هذه الرحلة قد تمّت في شهر رمضان الكريم، ومن المعلوم أنه شهر التوبة والمغفرة، فتكون أجواؤه حافلة بالمراسيم الدينية، سواء في المساجد أو في الأحياء والمنازل. وسوف يستغل الشيخ هذا الشهر العظيم ليتحرّك في هذه الأجواء التعبّدية، حيث تكثر فيه الحلقات القرآنية والدروس الدينية. ولعل ما يلفت انتبهنا أن أهم القضايا التي طغت على الرحلة كانت تشتمل تفسير القرآن الكريم، وتدارس الحديث النبوي الشريف، واستعراض بعض قضايا الفقه والشريعة..

3-3 قيم قومية:

كانت أوضاع الجزائر التي بدا بها مجتمعا تكالبت عليه قوى الاستعمار من أهم الدوافع التي حفزت الشيخ الخضر للوقوف بقلمه ولسانه إلى جانب الشعب الجزائر، باعتباره شعبا مسلما وإلى العروبة ينتسب، واعتبار الجزائر موطنه الأصلي وموطن أجداده.

3-4 قيم وطنية:

إنّ من أهم القيم التي لمسناها من نص الرحلة تجلّي القيم الوطنية، التي جعلتنا نحس بمدى محبة المجتمع الجزائري لبلده وإخلاصه له، على رغم من أنه كان في تلك الفترة تحت الاستبداد والاضطهاد الفرنسي، إلاّ أنه بدا مجتمعا متماسكا و مجاهدا في سبيل وطنه، يسعى نحو الإصلاح، ويلتزم بواجباته على أكمل وجه.

3-5 قيم اجتماعية:

إنّ مما لا شك فيه أن من استعدادات الرحالة المثقف أن يكون بصيرا بالأمور، دقيق الملاحظة، إذ يسجل في نصه جميع الجوانب الحياتية للبلد التي يرتحل إليها، وخاصة جانبها الاجتماعي، وهو حال رحلة الشيخ الخضر؛ إذ رصد لنا بعض عادات المجتمع الجزائري وتقاليدهم، وشعائرهم الدينية في شهر رمضان، كما وقف على نشاط علمائها وأدبائها الأفاضل، ولم يغفل طرق التعرّض إلى مناهج التعليم وطرق التدريس، وصور التعليم في الجزائر.

3-6 قيم سياسية:

تعكس لنا هذه الرحلة قيما سياسية، حركتها سياسة الاستعمار الفرنسي في مستعمرته الجزائر، التي قامت على طمس الهوية الجزائرية بشتى الطرق، حيث سعى جاهدا إلى تحويل كثير من المساجد إلى كنائسَ وثكناتٍ عسكرية، وتأسيس المكتبات الاستعمارية كـ"المكتبة العمومية"، حيث كان الهدف من إنشائها: استقبال الوثائق والمخطوطات والكتب المطبوعة في تاريخ الجزائر، وتاريخ العلوم، ومساعدة المستوطنين الفرنسيين (وأغلبهم من الرعاع، والفلاحين، وسفلة الناس) على التعلّم والتثقف.

3-7 قيم تربوية:

بما أن فكر الشيخ الخضر كان تربويا إصلاحيا، فقد حاول جاهدا أن يستفيد ويفيد. ولعل هذه الرحالة – مثل غيرها من الرحالات العلمية – حملت في طياتها قيما تعلمية، وتعليمية، وعلمية، الغاية منها التربية والاصلاح.

3-8 قيم علمية:

وهي من أهم القيم التي نلمسها من هذه الرحلة، باعتبارها رحلة علمية؛ إذ تضمّن نص الرحلة الكثير من القضايا الدينية والعلمية، كانت نتيجة مجالسة الشيخ الخضر للأهم العلماء والشيوخ في الجزائر، ومناقشته لهم في قضايا مختلفة، يضاف إلى هذا، ذكر الشيخ لأهمّ المعالم الثقافية ووصفه لها.

3-9 قيم ثقافية:

إنّ القيمة الثقافية لهذه الرحلة تعكس لنا – بطبيعة الحال – تاريخ الجزائر الثقافي أثناء مرحلة الاستعمار الفرنسي، إذ عبر الشيخ الخضر عن إعجابه بالحركة الثقافية التي كانت سائدة آنذاك، وبما تميزت به الجزائر من مدارس، مثل: "المدرسة الثعالبية"، ومكتبات مثل: "المكتبة العمومية"، وصروح ثقافية تيسّر على الباحث بحثه، وتشجعه على الخوض فيه.

3-10 قيم أدبية:

تتجلى قيمتها الأدبية في كونها أنموذجا أدبيا، إذا اشتملت على كل أساليب القص، من عرض سرديّ لأحداث الرحلة، ووصف دقيق للمشاهدات التي صادفها في أثنائها،بالإضافة إلى اشتمالها على أركان الحكي كالبنية الزمكانية، وفواعل الرحلة، والرؤى المتنوعة، واحتوائها على شواهد شعرية، تنوعت بين شعر من نظم الرحالة، واستشهاد شعري جاء به من غيره، حيث اقتضاه المقام وارتضته المناسبة، ممّا يثبت عندنا قدرة الشيخ على نظم الشعر– وهو الأديب الشاعر– أو تمثّله — وهم العالم المتمكّن – إلى جانب إبراز أدبية هذه الرحلة.

الفصل الثالث

بنية الشكل في الرحلة

1- زمنية الرحلة

2- فضائية الرحلة

3- فواعل الرحلة: السارد الرحالة – شخصيات الرحلة

4- الرؤية الرحلية

5- لغة الرحلة: التقريرية – السردية – الوصفية – التصويرية

تمهيد

نص الرحلة نص مفتوح على خطابات متعدّدة، يستدعي التعامل معه فهمه وفق هذه التعددية، ودرجة الوعي بها. لهذا، فإن القول بنصية الرحلة هو انفتاح على دينامية الرحلة نفسها، وعلى خطاباتها المستندة إلى ظروف إنتاجه، ومقاصد(الذات) المتكلمة، و(الآخر) المتكلم عنه[1].

ودراسة نص رحلي، كخطاب، يقتضي – ضرورة – تحليل بنية شكله، إذ يكشف لنا هذا التحليل الكثير من المعطيات المتعلقة بشخصية الرحالة، ورؤيته، إلى جانب أسلوبهفي بناء عناصر سرده، من رسم للشخصيات،وتأطير للزمن، وتصوير للفضاء، وبناء للغة السرد، التي سوف نحاول القبض عليها من خلال مقاربتنا للرحلة الجزائرية.

1–زمنية الرحلة:

إنّ من أهم الركائز التي تنبني عليها الرحلة ركيزة (الزمن) فيها، وهي مرتبطة ارتباطا شديدا بالذات الرحّالة، حينما تكون مرّة (ذاتا ساردة) خارج النص، و(شخصية متفاعلة) داخله.وقد يجري البناء الزمني في النص الرحلي — بوصفه نصاسرديا بامتياز– وفق تلك الأنماط الزمنية الأساسية، التي يحتكم إليه السرديون:

– زمن الحكي: وهو زمن يسير على وتيرة الأحداث المروية، فيخضع إلى التتابع المنطقي، من خلال تراتبية (البداية — الوسط – النهاية)، حسب الحبكة التقليدية لزمن القصّ.

– زمن السرد: وهو الزمن الذي يُجري فيه (المؤلف/ السارد) وقائع حدثه بنوع من التحرّر، فلا يتطابق – ضرورة – مع زمن الحكي التراتبي، لكن يعتمد على تقنيات زمنية مرنة مثل: الاسترجاع، والاستباق، والاستشراف..[2].

وإلى جانب هذين النمطين الزمنيين الداخليين (المرتبطين ببنية الحكي في النص)، أوجد المشتغلون بالسرديات نمطين زمنيين خارجيين، هما:

- زمن الكتابة (المرتبط بالكاتب)، والمتعلّق بميلاد نصّه وظروفه.
- زمن القراءة (المرتبط بالقارئ)، والمتعلق بلحظة القراءة، وطبيعة استجابة المتلقيله[3].

1– ينظر: شعيب حليفي: **الرحلة في الأدب العربي (التجنس ، آليات الكتابة ، خطاب المتخيل)**، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2002، ص: 39–40 .

2– ينظر: حميد لحميداني: **بنية النص السردي**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط.3، 2000، ص: 73.

3– ينظر: عبد مالك مرتاض: **في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)**، دار عالم المعرفة، الكويت، ديسمبر 1998، ص: 179–180.

1-2 تمظهرات الزمن في الرحلة:*

1-2-1 الاسترجاع الزمني:

من أمثلة هذا الزمن الاسترجاعي في رحلة الشيخ الخضر، استدعاؤه لشخصية من شخصيات رحلته عبر زمن ماض:

".. ويوجد في هذه البلد (سوق أهراس) مدرس آخر، وهو الشيخ عبد المجيد، كنت في السنة الفائتة أتيت المسجد، الذي يدرس فيه «المختصر الخليلي»، وقد سبقتْ لنا معرفته بالحاضرة (تونس العاصمة)، فرحّب بنا، وأحسن لقاءنا.."[1].

وكأنّ الشيخ قد وظّف هذا النوع من الزمن، بغرض تأكيد معرفته السابقة لهذا العالم الجليل، وإقناعه للمتلقي بمدى حقيقة علمه، كما أنّها دليل – باعتبار خارج النص – على زيارة سابقة قام بها الشيخ، ولا نعرف هل دوّنها؛ فتكون قد ضاعت، أو لم يدوّنها، فنحن نملك دليل حدوثها عبر هذا الاسترجاع الزمني.

ومن النماذج الاسترجاع، التي فرضت نفسه في هذه الرحلة، نجد ما أشار إليه في حديثه عن لقاء الشيخ (عبد الحليم بن سماية)، الذي ناقشه في بعض شؤون المدرسين، ففرض هذا الموقف عملية التذكر. يقول الشيخ الخضر:

".. ووقفت أمام ضريح الولي الكامل، الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن الأزهري، المتوفى سنة 1208هـ، فنزلنا هناك، ووجدنا الشيخ عبد الحليم ...وكان هذا الفاضل زار الحاضرة قديماً، وأقام بها نحو ثمانية أيام أخذ فيها «المقولات العشر» تدريساً عن الشيخ محمد بن عيسى الجزائري – رحمه الله –.."[2].

وكأنّ هذا اللقاء ذكّر الشيخ الخضر بزيارة الفاضل عبد الحليم بن سماية إلى تونس العاصمة، وإقامته بها لمدة ثمانية أيام، ولعل هذا ما يبرز للمتلقي مدى إطلاع الشيخ عبد الحليم بن سماية الثقافي.

1-2-2 التسريع الزمني، باستخدام تقنية (الخلاصة):

وقد يعمد الشيخ الخضر في بعض مراحل سرده لوقائع زيارته، إلى التسريع بالحدث، وكأن الشيخ يريد اختزال كلّ حدث – زمنيا – حين لا يرى جدوى من التوقف عنده، كونه لا يقع في بؤرة اهتمامه، أو كونه متشوقا للقاء هذا العالم الفاضل، فإذا به يطوي الزمن طيّا.

***ينظر**: الملحق.*

1- ينظر:الرحلة الجزائرية، مج:11، ص: 26.

2- الرحلة الجزائرية، مج:11،ص:37- 38.

وانظر إلى بروز الزمن الحقيقي في هذه الفقرة: في تحديد ساعة الزيارة (الساعة الخامسة مساءً)، والمدة الدقيقة التي قطعتها السيارة الكهربائية (نحو عشرين دقيقة)، ثم رصد مدة المسامرة مع **الشيخ عبد الحليم بن سماية** (فتواصلت حلقاتها نحو ستّ ساعات).

"وفي اليوم الثاني من أيام إقامتنا، دعانا الشيخ عبد الحليم بن سمايةإلى زورة محله في الساعة الخامسة مساءً، وكان منزله في أقصى المدينة وأعلاها، فصعدنا إليه على السيارة الكهربائية، سارت بنا في خطها الحديدي نحو 20 دقيقة، ووقفت أمام ضريح الولي الكامل الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن الأزهري المتوفي سنة 1208 هـ، فنزلنا هناك، ووجدنا الشيخ عبد الحليمفي انتظارنا، فذهب بنا إلى داره، وارتقى بنا إلى طبقتها العليا، وتنفست مدة المسامرة، فتواصلتْ حلقاتها نحو ست ساعات"[1].

ويظهر هذا التسرع الزمني، في موضع آخر، عند لقائه السيد: يوسف بن سماية. قول الشيخ الخضر:

"والتقينا بالفاضل البارع السيد يوسف بن سماية، فوقفنا معه موقف التسليم والوداع أمداً لم يتجاوز 20 دقيقة، وقد لاح لنا على خطاباته ملاطفة جميلة تشف عن جودة فكرة، وحلاوة في الأخلاق"[2].

فالشيخ الخضر، لم يذكر لنا ما جرى من حوار بينه وبين الفاضل يوسف بن سامية بتفصيل، بل اختزله في ذكر المدة "20دقيقة"، وذلك من أجل تسريع الزمن، كون اللحظة التي جمعتهما هي لحظة مفارقة وتوديع، على الرغم من أنّها استغرقت عشرين دقيقة.

1-2-3 التعطيل الزمني، باستخدام تقنية "المشهد"، و"الوقفة":

1-2-3-1 المشهد:

ويقصدبالمشهد: المقطع الحواري الذي يتسرب إلى الحدث، أو هو المشهد الحواري المبثوث ضمن السرد، حين تتولّى الشخصيات دفع الأحداث وتطويرها، بينما يكون السارد خارج النص. ومثال ذلك في رحلة الخضر:

".. وبعد صلاة التراويح، زرنا جماعة من أعيان تجّارها (مدينة تبسّة) لهم عناية أكيدة بالمسائل التي تعرض لهم في أمور التجارة، وهو من أعظم الأدلة على متانة الديانة، والتوقّي من الشبهات، منها قول بعضهم: «وما تقولون في رجل اقترض مالاً من عند آخر، واشترى به أشياء تجب فيها الزكاة، وعنده ملك آخر يفي

1-الرحلة الجزائرية، مج:11، ص: 36- 37.

2- الرحلة الجزائرية، مج:11، ص: 42.

بخلاص ذلك الدين، فهل تجب فيها الزكاة فيما اشتراه بمال القرض، إن مرّ عليه الحول، أو لا تجب؛ لأنّه مدين؟».."[1].

1-2-3-2 الوقفة:

ويقصد بها: المقطع (التقريري) الذي يتدخل فيه السارد في النص، معلقا أو معقبا أو مستدركا.

ومن أمثلته في الرحلة:

"**.. ومما جرى في خاتمة المجلس، لفظ: «منطاد»؛ فقلنا: هو الآلة التي تطير في الهواء، المسماة بالبالون، وهو لفظ عربي. في «القاموس»: الانطياد: الارتفاع في الهواء صعداً، والمنطاد: البناء المرتفع**"[2].

فالنص قام على مقطعين: مقطع أول: "**فقلنا: هو الآلة...**"، وهو شرح لكلمة (منطاد)، وقد توجّه بها إلى السائل، ومقطع ثان: "**في القاموس: الانطياد...**"، وهو الاستدلال على اللفظة في المعجم، وكأن المخاطب هنا هو المتلقي، لا السائل.

2-فضائية الرحلة:

للمكان أهميته في تشكيل عالم الحكي، ورسم أبعاده؛ فمن خلاله تتجلّى صورة الشخصيات، وتتكشّف أبعادها الاجتماعية والنفسية والفكرية؛ ذلك أنّالمكان لم يعد مجرّد خلفية يستند إليها الحدث، أوتتحرّك في حيّزها الشخصية، بل أصبح المكان عنصرا فاعلا في بنية الحكي، لدرجة أنّها وجدت نصوص سردية كان (بطلها) المكان.ومن هنا، تحول الكلام عن المكان، إلى كلام عن الفضاء، ومعه تجلّت فضاءات عدّة، يمكن رصدها في: الفضاء الطبيعي الفيزيائي، والفضاء الثقافي، والفضاء المتخيّل، والفضاء التلفظي، والفضاء النصي[3].

أ- **الفضاء الفيزيقي**: وهو الفضاء الطبيعي المدرك بالحواس (البصر والسمع..)

ب- **الفضاء التلفّظي**: وهو فضاء تستحضره وتصنعه الكلمات، سواء أكانت منطوقة، أم مكتوبة

ج- **الفضاء النصي**: وهو فضاء أيقوني مرتبط بالصفحة وما تمثله من مساحات الامتلاء والفراغ (البياض والسواد)

د- **الفضاء الثقافي**: وهو الفضاء الذي يحققه التشكيل اللغوي، فيستدعي عند القراءة استحضار المتصورات الثقافية المادية (مظاهر الحضارة والعمران) والمعنوية (مجموعة القيم والخصوصيات الثقافية) التي أسهمت في تكوين شخصية المؤلف، وبلورت خصوصية إبداعه ثقافيا.

1- الرحلة الجزائرية، مج:11، ص:29.

2- الرحلة الجزائرية، مج:11، ص: 28.

3- ينظر: حميد لحميداني: **بنية النص السردي**، ص: 53، وما بعدها..

هـ- **الفضاء المتخيّل:** وهو الفضاء الذي يصطنعه المؤلف لعالمه السردي من خلال الاستيهام والتخيّل، وهو المدرك من خلال الأدب العجائبي (الفونتاستيكي)، أو الأدب الخيالي (الخيال العلمي).

2-1 المكان في الرحلة:

يعتبر "المكان" في الرحلة، حجر الزاوية، إذ لا يكتفي الرحّالة بالوصف الموضوعي أو المحايد، كما يفعل الجغرافي عادة بل يتعدّاه إلى وصف إحساسه بهذا الفضاء.وإذا كان الرحّالة – جغرافيا – يستوحي المظاهر الجغرافية من طبيعة، ومدن وعمران، فإنّه، في الوقت ذاته، يستوحي المظاهر التاريخية: أعلاما، وسيرا، وتواريخ، وأحداثا، معيدا صياغة كلّ ذلك دون أن تكون الرحلة نقلا حرفيا، أو نسخا آليا لما وقع للرحالة أثناء رحلته. إنّه امتزاج الزمان والمكان بالإنسان، المحقّقة لمفهوم الزمكانية، أو "الكرونوتوب"، كما يسمّيها (ميخائيل باختين)[1].

2-2 أنماط المكان في الرحلة الجزائرية:

2-2-1 المكان الطبيعي:

وهو الفضاء الطبيعي المدرك بالحواس (البصر والسمع..)، قد يقصر على وصف مظاهر الطبيعة، ابتداء من جغرافية المكان، والرحلة – في الأصل – ترتبط بالمكان وفضائه.

".. واتخذت سبيلي في البر؛ لأنه أجمل منظراً، وأقل خطراً، فانسحب بنا القطار، وهو يطوي البيد طياً، ويجوب من المفاوز الفسيحة مكاناً قصياً، إلى أن نفخ نفخة الغيور الكريم، ثم سار سيراً رويداً، واستوى على محطته الواقعة على جناح من بلد «سوق أهراس».."[2].

2-2-2 الفضاء الثقافي:

ويقصد به الفضاء الذي يستدعي عند القراءة استحضار المتصورات الثقافية المادية (الحضارة والعمران) والمعنوية (مجموعة القيم والخصوصيات الثقافية)، التي أسهمت في تكوين شخصية المؤلف وبلورت خصوصية إبداعيه ثقافيا.

".. وفي الساعة الخامسة صباحاً تحرك بنا القطار من «باتنة»، ولم يزل يخبُّ ويضع، ويحمل ويضع، حتى ضرب سواد الليل أطنابه، وفي الساعة الثامنة أشرفنا على عاصمة الجزائر، فتراءت لنا مصابيح أنوارها بمنظر أنيق، وأشكال متناسقة، وذلك لأن المدينة قائمة على أكمة مرتفعة يبتدئ العمران من أعلاها، ثم يمتد متدلياً إلى حافة البحر، فيبصر الداخل عند استقبال شوارعها المنورة، وهي طبقات بعضها فوق بعض، رونقاً مليحاً.."[3].

1- ينظر: عبد الرحيم مودن، **أدبية الرحلة**، صص: 10- 14.

2-الرحلة الجزائرية، مج11، ص: 34.

3- الرحلة الجزائرية، مج:11، ص: 31.

ونجده في موضع أخر:"**بارحت «عين البيضاء» في الساعة السادسة صباحاً، فوصلنا «قسنطينة» بعد مسير الرتل ست ساعات تقريباً، وأعدنا الاستطلاع على بعض معالمها الدينية، وآثارها القديمة والحديثة. بهذه المدينة مدرسة إسلامية معدة لتخريج القضاة والعدول، وثلاثة جوامع تقام فيها الجمعة: الجامع الكبير، والجامع الأخضر، والآخر يسمى: بجامع سيدي الكتاني، وفي هذا الجامع منبر من الرخام مرقوم فيه بيت من الشعر يتضمن اسم مؤسسة، وتاريخ تأسيسه، وهو:**

بنـــى منبـــراً بـــالعزّ والنصـــر صـــالح لـــه ســـبل الخيـــرات تاريخـــه رشـــد[1]

وأسّس الجامع الأخضر سنة 1256هـ، وبها مكتبة عموميةتحتوي على عدة من الكتب المطبوعة المتداولة"[2].

3-فواعل الرحلة:

3-1 بنية الرحلة الجزائرية من حيث الفواعل:

إنّ بنية الرحلة من حيث الفواعل المحركة لها لا تخرج عن:

– **المؤلف:** الذي أعدّ نص الرحلة من حيث جملة المشاهدات التي وقعت في حيز السفر.

– **السارد:** الذي يحول هذه المشاهدة إلى نسق من الكتابة يقوم على شروط فن الرحلة بحيث يجري الحوادث على شخصيات تتأطّر في فضاء مكاني، وتخضع إلى ترتيب زمني يختلط فيه الزمن الحقيقي مع الزمن الفني.

– **الشخصيات:** هي مدار الفعل الرحلي، ابتداءً من شخصية الرحالة المركزية، والشخصيات الثانوية المشاركة لها.

ولما كانت الشخصية في الرحلة هي السارد وهي المؤلف، كان الكلام عنها مجتمعة في صورة الشخصية المحورية، أو المركزية، مضافا إليها الشخصيات المباشرة المساعدة لها. وعلى هذا الأساس، يمكن تمييز ثلاثة أنواع من الشخصيات في رحلة الشيخ الخضر:

أولا: شخصية الرحالة (الشيخ الخضر حسين) قام عليها الحدث من أوله إلى آخره.

ثانيا: شخصية الشيخ الحسن (ابن عم الرحالة) وهي شخصية محتشمة لا يظهر دورها الوظيفي في الرحلة، إلاّ في كونها شخصية مرافقة للشخصية المركزية.

1- كلمة رشد مجموع حروفها بحساب الجمل عند المغاربة يساوي: ر200 + ش 1000+ د 4 = 1254 [1254هـ](طريقة حساب الجمل بحروف ابجد لدى المغاربة)

2- الرحلة الجزائرية، مج:11، ص: 31.

ثالثا: شخصيات العلماء: اعتمد على وصفها، دون أن تكون جزءا فاعلا في دينامية الرحلة، وتطورها

ومن هنا جاز أن نحكم – بداية – أنّنا مع رحلة طبيعية واقعية مباشرة، لا تحمل تلك الشعرية المميّزة لأدب الرحلات.

3-2 شخصيات الرحلة :

3-2-1 الشخصية المركزية :الشيخ الخضر حسين الذات الفاعلة للرحلة:

بما أن الشخصية في العمل السردي هي التي تنجز الحدث، وتملأ(المكان)، وتتفاعل مع (الزمن)،فإنّها في النص الرحلي حاضرة بقوّة، كون الرحالة هو الشخصية المركزية، المضطلعة بهذه العناصر مجتمعة.

ومن هنا، تحضر شخصية (الإمام الخضر)، بوصفها:السارد الذي يروي وقائع الرحلة، والذات المنجزة، التي تتجلىببعدها الحقيقي،كذات وقع عليها فعل السفر والرحلة، كما تتجلى ببعدها الدلاليكشخصية مثقفة، حاملة لرسالتها العلمية والتعليمية، هدفها في هذه الرحلة (الرحلة الجزائرية)، الاستكشاف حتى يكون ".. **على بينةٍ من قدار ما تبلغ إليه حالتها العلمية، وجلية من أمر أخلاق أهلها الغالبة، وعاداتها العامة..**"[1].

ولقد لمسنا بعض سمات هذه الشخصية عبر مقاطع النص:

– **فهي شخصية يغلب عليها الطابع الديني:** باعتبار المناسبة التي اختارها الرحالة للقيام برحلته (شهر رمضان)، والمشاهد المتكررة التي يعرضها الرحالة لدور العبادة، وما يتصل بها من مظاهر مادية عمرانية (المساجد والأضرحة)، ومظاهر معنوية (الدروس المسجدية، وحلق العلم،والمسامرات العلمية والأدبية)، حيث بدت شخصية متعايشة – دوما – مع هذه المظاهر الروحية

".. **بارحت «عين البيضاء» في الساعة السادسة صباحاً، فوصلنا «قسنطينة» بعد مسير الرتل*ست ساعات تقريباً، وأعدنا الاستطلاع على بعض معالمها الدينية، وآثارها القديمة والحديثة. بهذه المدينة مدرسة إسلامية معدة لتخريج القضاة والعدول، وثلاثة جوامع تقام فيها الجمعة: الجامع الكبير، والجامع الأخضر، والآخر يسمى: بجامع سيدي الكتاني،وفي هذا الجامع منبر من الرخام مرقوم فيه بيت من الشعر يتضمن اسم مؤسسه، وتاريخ تأسيسه..**"[2].

1 – الرحلة الجزائرية: مج:11، ص: 26.

* قطار السكة الحديدية

2– الرحلة الجزائرية، مج:11، ص: 31.

– **وهي شخصية تسبقها شهرتها**:حيث إنّها مشهورة في الجزائر، وفي الجنوب الشرق من القطر الجزائري على الأقل.

".. وبعد أن قضيت الصلاة، وتأهبنا للانصراف، قام من الجماعة رجل تلوح على وجهه سمة أهل العلم، ودنا مني، وسلم عليّ سلام ذي المعرفة، ثم مسك بيدي، وتقدم بي إلى محراب المسجد، وأومأ إليّ بالجلوس، ثم استدارت الجماعة على هيئة درس، ورأيت في يد أحدهم سفراً، فالتفت إلى ذلك الفاضل، وقلت له: هل لكم درس في هاته الساعة؟ فقال: نعم، درس في التوحيد، ولكن نريد أن نعوضه بمسامرة علمية معكم. وبعد أن ختمت المسامرة، وانفضت الجماعة، تجاذبنا مع ذلك المدرس محادثة خاصة، فاستجلينا من خلالها: أنه الشيخ محمد الصالح بن الشايب العدل بالحكمة القضائية.."[1].

– **هي شخصية محبة للسفر والرحلة**: وهذه الرحلة الجزائرية (1904) قد سبقتها رحلة مماثلة للجزائر (1903)، إلى جانب رحلاته إلى ليبيا ومصر والشام وتركيا وألمانيا.

"كنت أُسعفت فيما سلف من الزمان بإجراء سياحة في أطراف المملكة الجزائرية، وبقيت النفس مستشرقة إلى إعادتها تارة أخرى إلى مدينة الجزائر نفسها؛ لنكون على بينة من مقدار ما تبلغ إليه حالتها العلمية، وجلية من أمر أخلاق أهلها الغالبة، وعاداتها العامة؛ فإن لسان العيان أفصح من لسان البيان. وما برحت هذه الأمنية تتمثل في الخيال، وتجول في العقل، حتى مكنتنا الفرصة من توطيدها وإبرازها إلى حيز الوجود في شهر رمضان المعظم من هذه السنة"[2].

– **وهي شخصية عالمة وعلّمة، ومتعلّمة**: حيث تظهر هذه الغاية في كثير من مواضع رحلته، مما يؤكد لنا الطابع العلمي لهذه الرحلة، **".. ذهبنا إلى المسجد الذي أسسه السيد (مصطفى بن الأكحل)، فشهدنا مجلس ختم الشيخ عبد الحليم لكتاب في التوحيد، لا أتذكّر – الآن – ما هو؛ لأنّ الشيخ، إنّما قرّر ما يتعلّق بسورة "الإخلاص"، وبيّن كيف ينتزع منها العقائد الدينية بطريقة استحسنتها جداً، حتى إنّي كنت من المحرضين له على إقراء درس في التفسير، زيادة عمّا هو بصدد إقرائه، مثل: درس السعد على «التلخيص».."**[3].

1-الرحلة الجزائرية، مج:11، ص: 27 ، 28.

2 – الرحلة الجزائرية، مج:11، ص:26.

3 – الرحلة الجزائرية: مج11، ص: 41.

3-2-2 الشخصيات الثانوية:

إنّ الحديث عن الشخصية المركزية، أو الفاعلة في الرحلة، يتطلّب البحث عن الشخصية المقابلة، أو ما يسمى الشخصية الثانوية. التي يمكننا أن نصنفها – على حسب علاقتها بالشخصية المركزية – بأنّها شخصيات التقاها الرحّالة، واستأنس بمجالستها، أو مصاحبة لها في رحلته.

ولعلّ أبرز الشخصيات المساعدة للرحالةشخصية ابن عمّه التي كانت الشخصية الوحيدة المباشرة التي تكلم عنها، وحاورها، وحدّد دورها في الرحلة

".. ثم التقيت بابن عمنا، الشيخ الحسن، فربطنا النية على المرافقة في السفر، فتوجهنا إلى «باتنة»، فوصلنا في الساعة الثامنة مساء، وبعد أن وضعنا أوزار الأتعاب، تجولنا في شوارعها ... وفي أثناء المطاف، قال لي رفيقنا المذكور: إني أعرف – هنا – رجلاً من أهل العلم والأدب، فقلت: تلك الضالة التي ننشدها في مثل هاته الليلة، اسع بنا، عسى أن نروّح الخواطر بأسماره.."[1].

أما الشخصيات الأخرى، فقد اعتمد الرحالة على عرضها في سياق الرحلة، بوصفها مادته الرحلة الأساسية (العلمية الاستكشافية)،

".. والتقينا بأشهر علمائها الشيخ حمدان بن الونيسي، الذي كان زار الحاضرة منذ عهد قريب. والعالم الشيخ أحمد بن الحبيباتني، وهو رجل عليه سمة أهل الخير والصلاح.."[2] ...

".. ودعانا السيد مصطفى بن الأكحل إلى منزله، وهو من أفاضل القوم، لا يحل بالبلد غريب، ولاسيما إن كان من أهل العلم، إلا وأكرم مثواه، وأحسن ضيافته، وحضر تلك المأدبة جماعة من أعيان العلماء؛ مثل العالم الفاضل: الشيخ بوقندورة، والشيخ عبد الحليم، والشيخ محمد بن مصطفى خوجة، فنضحوا بماء لطافتهم عن صدورنا وحشة الاغتراب، وتساقط من بين مذكراتهم العلمية ما تلذه عيون الألباب"[3].

وقد نصادف نوعا من الشخصيات الثانوية تحمل بعدا ثقافيا، يمثلها طبقة الأعيان، والتجار، ومحبي العلم والعلماء، مثل: شخصية السيد مصطفى بن الأكحل أحد أعيان الجزائر العاصمة:

1- الرحلة الجزائرية، مج:11، ص:33.

2- الرحلة الجزائرية، مج:11، ص:31.

3 - الرحلة الجزائرية، مج11، ص:40.

".. ودعانا السيد مصطفى بن الأكحل إلى منزله، وهو من أفاضل القوم، لا يحلّ بالبلد غريب، ولا سيما إن كان من أهل العلم، إلا وأكرم مثواه، وأحسن ضيافته.."[1]

أو شخصية السيد علي بن الحداد:أحد التجار الأفاضل:

".. فالتقينا بالسيد علي بن الحداد؛ أحد أعيان تجارها الأفاضل، فبسط علينا من الحفاوة والترحاب رداء ضافياً، ولهذا الفاضل محل تجاري يتسامر فيه جماعة من أعيان العلماء والفضلاء، تعارفنا مع بعضهم في تلك الليلة.."[2].

4- الرؤية الرحلية:

ويقصد بها: طرح الكاتب لأفكاره، أو بالأحرى،طريقة تقديمه لوجهة نظره للأشياء. ويعد هذا المصطلح من أهم المصطلحات التي اهتم بها النقاد، إذ دعوا إلى ضرورة تراجع الكاتب، واختفائه بين طيات نصه، وعدم إظهار نفسه، من خلال التخفي وراء شخصياته، وهذا ما يظهر لنا العلاقة الوطيدة بين السارد والرؤية؛ إذ يتّخذ مواقع رؤيوية ثلاثة للتعبير عن مواقفه، وهي: "الرؤية من الخلف"، و"الرؤية مع"، و"الرؤية من الخارج"

4-1 الرؤية من الخلف: حيث يكون الراوي أكثر معرفة من شخصيات.

4-2 الرؤية مع: وهذه الرؤية سائدة نظير الأولى حيث يكون الراوي مساويا في معرفته للشخصيات.

4-3 الرؤية من الخارج: معرفة الراوي هنا تتضاءل، فيكون الراوي أقل معرفة من الشخصيات، وهذا النمط من الرؤية مناسب لوصف الأشياء المادية الخالصة[3].

ولعل هذا ما يدفعنا إلى التساؤل: إذا كانت هذه الأنواع الرؤيوية تنطبق على النص السردي الروائي، فهل يمكننا أن نطبقها على نص الرحلة؟.

إنّ ما يميز الرحلة – بوصفه نصاسرديا- هو وجود راو يروى لنا وقائع رحلته، وأحداثها. وبما أن الرؤية ترتبط بالراوي، وطريقة عرضه لوجهة نظره، فإنّه يمكننا أن نطبقها على نص الرحلة، الذي نحن بصدد دراسته.

لقد وصف الشيخ الخضر لنا وقائع رحلته بشكل أقرب إلى النسخ، ولقد تنوعت رؤيته بين: رؤية خارجية، كوصفه للمعالم الدينية في مدينة قسنطينة:

---

1 -الرحلة الجزائرية، مج:11، ص:40.

2-الرحلة الجزائرية، مج:11، ص:34.

3- سعيد يقطين: **تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)**، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت، ط.3، 1997، ص: 293.

".. والآخر يسمى: بجامع سيدي الكتاني، وفي هذا الجامع منبر من الرخام، مرقوم فيه بيت من الشعر، يتضمن اسم مؤسسه، وتاريخ تأسيسه ...وأسّس الجامع الأخضر سنة 1256هـ، وبه مكتبة عمومية تحتوي على عدة من الكتب المطبوعة المتداولة.."[1].

أمّا عن رؤيته الداخلية، فقد اكتفى الشيخ الخضر بالحياد، حين أفاده أحد شخصيات رحلته بالتعريج على طرق التعليم:

".. ثم ختمنا بالتعريج على ما هو الأحسن في طرق التعليم، فأبديت ما نراه الطريقة المثلى في هذا الموضوع، خلاصته: هو أن الرتبة الابتدائية، والرتبة الوسطى، ينبغي للمعلّم الاقتصار فيها على تقرير المسائل مجردة عن ذكر الخلافات، والأدلة الطويلة الذيل، حتى إذا اقتصر المتعلم على إحدى الرتبتين، أو عاقته دون الترقي لما بعدها عوائق، فقد نول ما فيه كفاية من غير أن يخفق مدة من حياته فيما لا فائدة فيه لمثله. أمّا المرتبة العليا التي لا يقصدها إلا من طمحت همته إلى أن يكون عالماً معلّماً، فلا بد فيها من تتبّع عروق المسائل، واستقصاء آثارها، وحثّ مطيّة الفكر في أنجادها وأغوارها.."[2].

5- لغة الرحلة:

يستخدم الراوي السرد، بتنويعاته، من أجل السيطرة على القارئ، عبر استراتيجيات من التشويق، وبناء الحكاية الموازنة لبناء الذات، وتذويب الكتابة التي هي فاعلية التشكيل والحكي الداخلي من الذات[3]، وتعدّ اللغة بمثابة النسيج الذي ينصب به الرحالة نص رحلته، إذ تنحصر ضمن العناصر البنائية الأخرى، التي يتكوّن منها العمل الأدبي، كالشخصية، والفضاء، والزمن، والرؤية السردية (الرحلية). ولقد اعتمد الشيخ الخضر على اللغة الجيدة، وجعل منها وعاء يصبّ فيها أفكاره، ويجسد، من خلالها رؤيته بصورة محسوسة، معتمدا، في أسلوب كتابته، على:

5-1 اللغة التقريرية: أو ما يسمى "الكتابة بأسلوب تقريري"، وهي من الصيغ المهيمنة على نص الرحلة؛ كونها أنسب إلى عرض المشاهدات، والحقائق، والمعلومات. وهي تتراوح بين:

1 - الرحلة الجزائرية، مج: 11، ص: 31.

2 - الرحلة الجزائرية: مج: 11، ص: 39، 40.

3-شعيب حليفي، **الرحلة في الأدب العربي**، ص: 192.

5-1-1 التقرير التاريخي:

".. وأسّس الجامع الأخضر سنة 1256هـ، وبها مكتبة عمومية تحتوي على عدد من الكتب المطبوعة المتداولة ... وزرنا، بإزائه، المدرسة الثعالبية، التي تم بناؤها في هذه السنة، وافتتحت باحتفال رسمي يوم: الاثنين 17 أكتوبر.."[1].

5-1-2 التقرير الإخباري:

".. يبلغ عدد سكان هذه المدينة نحو 55 ألف نسمة، نصفهم من المسلمين، وأربعة آلاف من اليهود، والباقي من الإفرنج.."[2].

5-2 اللغة السردية:

يعد بمثابة الأسلوب الأمثل الذي يعتمده الرحالة في حكي أخبار رحلته، من وقائع، ومشاهد صادفها أثناء رحلته؛ فمن خلال سرده، يتضح لنا مدى براعة أسلوبه.

لقد تنوعت أساليب السرد في هذه الرحلة بين:

5-2-1 سرد قصصي:

".. وفي اليوم الثاني من أيام إقامتنا، دعانا الشيخ عبد الحليم بن سماية إلى زيارة محله، في الساعة الخامسة مساءً، وكان منزله في أقصى المدينة وأعلاها، فصعدنا إليه على السيارة الكهربائية، سارت بنا في خطها الحديدي نحو 20 دقيقة، ووقفت أمام ضريح الولي الكامل، الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن الأزهري، المتوفى سنة 1208هـ، فنزلنا هناك، ووجدنا الشيخ عبد الحليم في انتظارنا، فذهب بنا إلى داره، وارتقى بنا إلى طبقتها العليا، وتنفست مدة المسامرة، فتواصلت حلقاتها نحو ست ساعات.."[3].

5-2-2 سرد تذكّري (استرجاعي):

".. ويوجد، في هذه البلد، مدرس آخر، وهو الشيخ عبد المجيد، كنت في السنة الفائتة أتيت المسجد، الذي يدرس فيه «المختصر الخليلي»، وقد سبقت لنا معرفته بالحاضرة، فرحب بنا، وأحسن لقاءنا، ثم سعى بنا

1- الرحلة الجزائرية، مج:11، ص: 31.

2- الرحلة الجزائرية، مج:11، ص: 33.

3-الرحلة الجزائرية، مج:11، ص:36.

إلى محل الدرس، فجلس عن يسارنا، وشرع في تقريره بطريقة مقتصدة خالية من التطويل، بعيدة عن الاختصار.."[1].

5-2-3 سرد تأملي:

لقد ارتكزت مشاهد هذه الرحلة على أسلوب التأمّل، وكأننا نستشعر وقفات الشيخ التأملية لما صادفه من مشاهد أثناء رحلته:

".. ذهبت إلى الجامع الجديد، ويقال له: الجامع الصغير، فوجدت العلم الفاضل الشيخ بوقندورة، المفتي الحنفي جالساً في زاوية منه، وحوله جماعة من الطلبة على شكل دائرة يتناوبون سرد «صحيح الإمام البخاري»، واحداً بعد واحد، والشيخ مصغ إليهم، فإذا ناب أحدهم خطأ، استرده إلى ما هو الصواب، وهذه عادتهم في سائر أيام رمضان.."[2].

فالشيخ وقف – متأملا – الشيخ بوقندورة، والجماعة التي من حوله، وكيف يتناوبون سرد «صحيح الإمام البخاري".

5-3 اللغة الوصفية:

يعد الوصف من أهم التقنيات التي يعتمد عليها في نقل المشاهدات المادية، ومظاهر الحضارة والعمران. ولقد تراوحت بين:

5-3-1 وصف مادي:

ويظهر لنا ذلك من وصفه للوجه الجميل لمدينة الجزائر:

".. وفي الساعة الخامسة صباحاً، تحرك بنا القطار من «باتنة»، ولم يزل يخبُّ، ويضع، ويحمل،ويضع، حتى ضرب سواد الليل أطنابه. وفي الساعة الثامنة، أشرفنا على عاصمة الجزائر، فتراءت لنا مصابيح أنوارها بمنظر أنيق، وأشكال متناسقة، وذلك لأنّ المدينة قائمة على أكمة مرتفعة يبتدئ العمران من أعلاها، ثم يمتد متدلياً إلى حافة البحر، فيبصر الداخل عند استقبال شوارعها المنوّرة، وهي طبقات – بعضها فوق بعض – رونقاً مليحاً"[3].

1 – الرحلة الجزائرية: مج11، ص: 28.

2 –الرحلة الجزائرية، مج:11، ص: 34،35.

3 – الرحلة الجزائرية، مج:11، ص: 34.

5-3-2 وصف معنوي: نلمسه من خلال وصف أخلاق بعض أهل العلم. والوصف - بطبيعة الحال - يتطلب دقّة ملاحظة الواصف لكي "يستوعب أكثر معاني الموصوف، حتى كأنّه يصوِّر الموصوفَ لك، فتراه نصْبَ عينيك"[1]، كوصفه لأخلاق العالم الفاضل: عبد القادر مجاوي:

".. والتقينا بالعالم الشهير الشيخ عبد القادر المجاوي، بعد شهودنا مجلس درسه «جوهرة التوحيد»، بمسجد سيدي محمد الشريف، فحيانا بتحيات أكدت للتعارف القديم ميثاقاً، وصبّت علينا شيمه الشريفة من المؤانسة كأساً دهاقاً، وحينما عزمنا على الانصراف، أخذ علينا عهداً على تجديد الزيارة في الليلة القابلة، فعقبنا ذلك العهد بالوفاء ... ولهذا الشيخ خلق عظيم نحمده عليه، وهو سلوكه في معاملة التلامذة طريقاً وسطاً، لا ينحط عن مكانة عزة النفس، ولا يرتفع عن ساحة التواضع، تحمله عواطف النسب العلمي على العناية بشؤونهم، وبذل التوسع في قضاء مآربهم، ويصدّه علو الهمة عن مجاراتهم فيما يزري بخطته الشريفة.

أأغرسه عزاً، وأجنيه ذلة؟ إذاً فابتياع الجهل قد كان أحزما

ولعل هذا الخلق، الذي لا ينبل الرجل إلاّ به، هو الذي غرس له في قلوب الجمهور مودة واحتراماً. وغالب القضاة وعدول المملكة الجزائرية تخرجوا على يديه؛ لأنّه كان يدرّس بقسنطينة - أيضاً - سنين متطاولة.."[2].

5-4 لغة تصويرية:

من خلالها تظهر لنا مشاعر السارد، وتكون فيه ألفاظه مصاغة بأسلوب فيه إيحاء، فيحسن اختيار الكلمات، ويكون فيه تنميق في كتابة الجمل الشعرية. ذلك الذي نجده عند الشيخ الخضر، حين استوقفه موقف وداعه الشيخ **أحمد البوعوني** المشار إليه، **والشيخ إبراهيم بن السلمي:**

".. ولما أزمعنا الانصراف، ووقفنا موقف الوداع، تكدرت خواطرهم؛ لانصداع إيوان تلك المؤانسة، وتقطع أسبابها، فألقوا على مسامعنا عبارات يتمشى التحسّر والتأسّف في مناكبها، فقلنا لهم: العود أحمد، وأنشدنا لهم:

لا تأس يا قلب من وداع. فإن قلب الوداع "عادوا"[3]

1- أبو هلال العسكري: **كتاب الصناعتين**، تح: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،(د.ط)، 1986، ص: 128.

2- الرحلة الجزائرية، مج:11، ص: 38.

3-الرحلة الجزائرية:مج11، ص: 33- 34.

5-5 لغة بلاغية:

وهي لغة مثلت لأسلوب الكتابة العام عند الشيخ الخضر حسين، هو أقرب إلى اسلوب الكلاسيكيين، من أمثال كتاب الرسائل.حيث يظهر توسل اللغة الأدبية الشريفة عبر:

5-5-1 الصورة البيانية الكلاسيكية:

".. فانسحب بنا القطار وهو يطوي البيد طياً، ويجوب من المفاوز الفسيحة مكاناً قصياً، إلى أن نفخ نفخة الغيور الكريم، ثم سار سيراً رويداً، واستوى على محطته الواقعة على جناح من بلد سوق أهراس"[1].

5-5-2 الصناعة البديعية:

".. فالتقينا بالشيخ عبد الحليم بن سماية، فغمرنا بنفحات خلقه الناضر، واختلب ألبابنا بفصاحة لسانه الساحر.."[2].

".. والتقينا بالعالم الشهير الشيخ عبد القادر المجاري، بعد شهودنا مجلس درسه «جوهرة التوحيد» بمسجد سيدي محمد الشريف، فحيانا بتحياتأكدت للتعارف القديم ميثاقاً، وصبّت علينا شيمه الشريفة من المؤانسة كأساً دهاقاً.."[3].

5-5-3 التناص الإيحالي: يستمدّه من:

5-2-3-1 القرآن:

".. قبضت قبضة من آثار سفرنا هذا، ونبذتها في صحائف هاته المجلة.."[4]

".. وصبّت علينا شيمه الشريفة من المؤانسة كأساً دهاقاً"[5]

5-2-3-2 من الأمثال والحكم:

".. فإن لسان العيان أفصح من لسان البيان.."[6]

1-الرحلة الجزائرية، مج:11، ص: 27.

2- الرحلة الجزائرية: مج11، ص: 35.

3 - الرحلة الجزائرية، مج:11، ص: 38.

4-الرحلة الجزائرية، مج:11، ص:26.

5- الرحلة الجزائرية، مج:11، ص:38.

6- الرحلة الجزائرية، مج:11، ص:26.

".. فقلنا لهم: العود أحمد"[1]

5-2-3-3 من الشعر:

".. ولهذا الشيخ خلق عظيم نحمده عليه، وهو سلوكه في معاملة التلامذة طريقاً وسطاً، لا ينحط عن مكانة عزة النفس، ولا يرتفع عن ساحة التواضع، تحمله عواطف النسب العلمي على العناية بشؤونهم، وبذل التوسع في قضاء مآربهم، ويصده علو الهمة عن مجاراتهم فيما يزري بخطته الشريفة.

أأغرسه عزاً وأجنيه ذلة؟ إذاً فإتباع الجهل قد كانأحزما[2]

وقد يتناص الشيخ الخضر تناصا ذاتيا، حينما يورد شيئا من شعره:

".. ولما أزمعنا الانصراف، ووقفنا موقف الوداع، تكدرت خواطرهم؛ لانصداع إيوان تلك المؤانسة، وتقطع أسبابها، فألقوا على مسامعنا عبارات يتمشى التحسر والتأسف في مناكبها، فقلنا لهم: العود أحمد، وأنشدنا لهم:

لا تأس يا قلب من وداعٍ . فإن قلب الوداع عادوا"[3]

1-الرحلة الجزائرية، مج:11، ص:33.

2 -الرحلة الجزائرية، مج:11، ص:33.

3 - الرحلة الجزائرية، مج:11، ص:34.

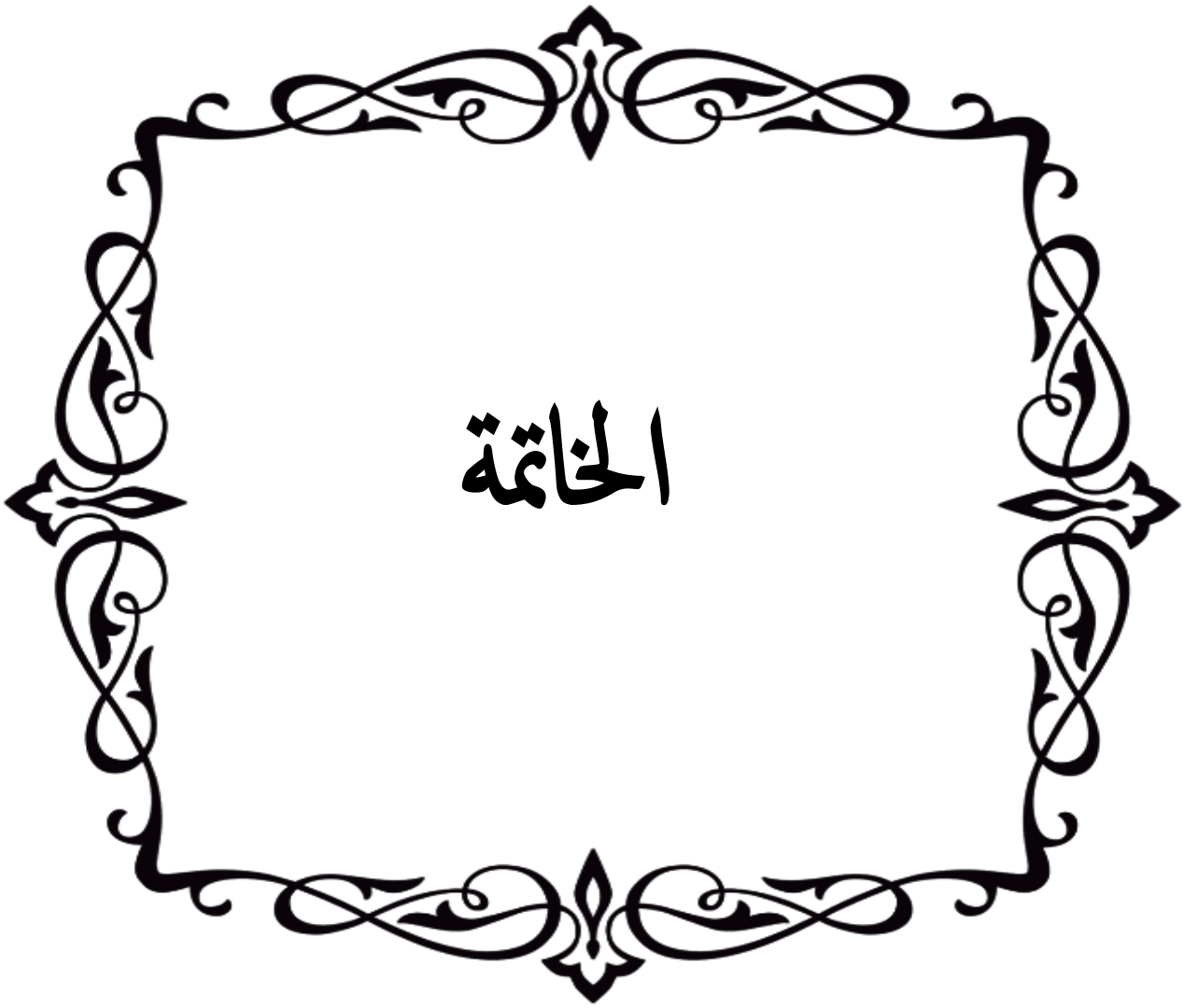

الخاتمة

إنّ ما يمكن استنتاجه بعد هذه الرحلة القرائية، في أكناف الرحلة الجزائرية للشيخ الإمام: محمد الخضر حسين ما يلي:

أولا:

– يعد الشيخ الخضر من أهم الشخصيات، التي سعت وراء الارتحال من أجل إصلاح حال المجتمع وتهذيب النفوس. ولقد اعتمد في مفهومه للرحلة على المفهوم الشرعي؛ أي: نظرة الإسلام إلى الرحلة، كما أنّ مقاصد الرحلة عنده، ارتكزت على مبدأ "السياحة الهادفة"؛ بمعنى: "سيحوا في الأرض، تعرفوا الأشياء".

– لقد تنوّعت فضائل الرحلة – في منظور الشيخ الخضر– بين: ما تتركه من أثر وانطباع عند الرحالة، وما يستفيده من مشاهدات حضارية وثقافية، وتعارف بشري في الجهة التي ارتحل إليها، وبين ما يستثمره البلد المستقبل من منافع وفوائد، وقدرات ومواهب يجدها عند الرحالة، تنمي علومه، وتثري آدابه وفنونه.

– تنوعت دوافع الرحلة واختلفت مقاصدها عند الشيخ الخضر، على الرغم من طغيان الدافع الاستكشافي الذي يطبع "الرحلة العلمية"، حال رحلاته الجزائرية.

ثانيا:

– معظم الأماكن التي زارها الشيخ الخضر في الجزائر كانت تمثل معالم للثقافة الجزائرية العربية الإسلامية، من خلال مساجدها، وجوامعها، وأضرحة أوليائها، ومدارسها، ومكتباتها..

– مثّلت المحلات التجارية وبيوت الأعيان مراكز التقاء للعلماء، والأدباء، والمثقفين عموما، مما يمنح صورة واضحة للظرف الذي كانت تعيشه الثقافة في الظرف الاستعماري، وموقف النخبة المثقفة منها

– معظم الرجال الذين التقاهم الشيخ الخضر ، ممن حاولنا الترجمة لبعضهم، يمثلون النخبة المثقفة في الجزائر.

قيم هذه الرحلة تنوّعت بين ذاتية؛ حققت هدف الشيخ الخضر المنشود (التقرّب من أصوله الأولى، والاطلاع على الحالة التي وصلت إليه الجزائر)، واجتماعية (رصد الأخلاق الغالبة على أهل الجزائر، ووصف عاداتهم وتقاليدهم، التي لا تختلف عن تقاليد بلدان المغرب بشكل عام)، وعلمية عكستها قيم مجاورة أخرى (دينية وفكرية وثقافية).

ثالثا:

– طغت المسائل العلمية على اهتمام الرحالة، عبر جميع مراحل الرحلة.

– طبيعة الرحلة العلمية فرضت على الرحالة أن يركز اهتمامه على الفضاء الثقافي أكثر من تركيزه على الفضاء الطبيعي والعمراني، وهي من بين مقاصد الشيخ الخضر العلمية التعليمية.

– كان الزمان والمكان من أهم الركائز، التي بني عليها النص الرحلي، ومن خلالهما تنوع عملية سرد الأحداث – زمنيا – بين: تقنيات الاسترجاع، والوقفة، والمشهد، والخلاصة.

– الشخصية المركزية هي شخصية سارد الرحلة، وراويها؛ وهو أمر بديهي في أدب الرحلة.

– الرؤية الرحلية تنوعت بين رؤية الشيخ الخضر الداخلية والخارجية.

– لغة الرحلة تراوحت بين: أسلوب تقريري، وسردي، ووصفي، وتصويري.

– الرحلة تحمل بعض القيم الجمالية، على مستوى الأسلوب والصورة والبديع، والتناصية، ممّا يعكس طابع مدرسة الفنية (الكلاسيكية العربية).

– الخضر في رحلته كان تقريريا على مدار سرده، ممّا يحملنا إلى القول: إنّ هذا النوع من الرحلات ينتمي إلى الرحلة التسجيلية، ذات الطابع العلمي التعليمي.

وبعد:

لعلّ من حسنات هذا البحث، أنّه تعرّفنا إلى شخصية جزائرية تكاد تكون مجهولة في الوسط الجامعي، هي شخصية الشيخ محمد الخضر حسين، الجزائري الأصل، التونسي المولد والنشأة، المصري العطاء الفكري والعلمي والأدبي.

وهذا البحث، هو حلقة من مشروع جامعي كبير، حرص الأستاذ المشرف: الدكتور أبو بكر مرزوق، على إنجازها، مشركا طلبة قسم اللغة والأدب العربي بجامعة الأغواط، أملا في أن تتّسع دائرة البحث فيه، لتشمل الأساتذة (أساتذة الأدب واللغة والشريعة) لذلك نسأل الله للأستاذ التوفيق والسداد في مشروعه، الذي هو مشروعنا، ومشروع الجامعة الجزائرية قاطبة.

ملحق

الرحلة الجزائرية

كنت أُسعفت فيما سلف من الزمان بإجراء سياحة في أطراف المملكة الجزائرية، وبقيت النفس مستشرقة إلى إعادتها تارة أخرى إلى **مدينة الجزائر** نفسها؛ لنكون على بينة من مقدار ما تبلغ إليه حالتها العلمية، وجلية من أمر أخلاق أهلها الغالبة، وعاداتها العامة؛ فإن لسان العيان أفصح من لسان البيان. وما برحت هذه الأمنية تتمثل في الخيال، وتجول في العقل، حتى مكنتنا الفرصة من توطيدها وإبرازها إلى حيز الوجود في شهر رمضان المعظم من هذه السنة.

ولما استقر بنا النوى من حيث ابتدأ، وصقل الإياب مرآة الصدور مما مسها به العباد من الصدأ، قبضت قبضة من آثار سفرنا هذا، ونبذتها في صحائف هاته المجلة؛ عسى أن يعتبرها مطالعوها الكرام بمثابة فصل انتزعت جذوره من مجلد ضخم في أنباء الأمة الجزائرية من جهة معارفها وأخلاقها.

***سوق أهراس:**

عقدت العزيمة على الظعن في الساعة الثامنة صباحاً من اليوم الخامس من الشهر المذكور (شهر رمضان سنة 1322هـ) [1]، واتخذت سبيلي في البر؛ لأنه أجمل منظراً، وأقل خطراً، فانسحب بنا القطار وهو يطوي البيد طياً، ويجوب من المفاوز الفسيحة مكاناً قصياً، إلى أن نفخ نفخة الغيور الكريم، ثم سار سيراً رويداً، واستوى على محطته الواقعة على جناح من بلد «**سوق أهراس**»[2] في الساعة الرابعة مساء.

فهبطت متدلياً إلى المنزل الذي أعدّ لنا، وبعد أن نفضت نقعَ ما علق بنا من النصب، تطوفنا في أغلب مناهجها المتسعة، وفسحنا الخاطر في بناءاتها المتناسبة، ولعدم كبر ساحتها يمكن الإحاطة بها في مدة وجيزة. وعند مغيب الشفق توجهت إلى مسجد لاغتنام فضيلة الجماعة، وبعد أن قضيت الصلاة، وتأهبنا للانصراف، قام من الجماعة رجل تلوح على وجهه سمة أهل العلم، ودنا مني، وسلم عليّ سلام ذي المعرفة، ثم مسك بيدي، وتقدم بي إلى محراب المسجد، وأومأ إليّ بالجلوس، ثم استدارت الجماعة على هيئة درس، ورأيت في يد أحدهم سفراً، فالتفت إلى ذلك الفاضل، وقلت له: هل لكم درس في هاته الساعة؟ فقال: نعم، درس في التوحيد، ولكن نريد أن نعوضه بمسامرة علمية معكم. فجرت على بساط المسامرة مسائل بعضها في العبادة، وبعضها في غير ذلك، منها: قول بعض المسترشدين: هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يحلق رأسه أم لا؟ وما حكم عدم الحلق؟

فكان الجواب: أن الآثار الصحيحة تدل على أنه صلى الله عليه وسلم لم يحلق لغير نسك، فيحتمل أن يكون ترك الحلق من باب ترك الأخذ بالعرف، والجري على ما هو العادة عند قومه، وعلى هذا، فمن جرى عرف قومه بالحلق، كان

---

[1] ويوافق يوم 12 تشرين الثاني/ نوفمبرلعام 1904م.

[2] – سوق أهراس: بلدة على الحدود الجزائرية التونسية

الأولى في حقه العمل على مقتضاه، ويحتمل أن يكون على وجه التشريع، فيكون سنّة، وهو ما فهمه أبو الوليد الطرطوشي، وابن العربي، وصرّحا بأن حلق الرأس لغير نسك بدعة، والذي يقوى في النظر: أن ترك الحلق هو من باب العادة، فلا يعد الحالق مبتدعاً، وقد يقال: لا تثريب على من ترك حلق رأسه بقصد التأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم؛ فإن الصحابة والسلف الصالح كانوا يحافظون على الأسوة به في العادات؛ كما يحافظون عليها في السنن، فيعارض بأن الشارع قد أمر بموافقة ما جرى به العرف في غير ما شرّعه.

وبعد أن ختمت المسامرة، وانفضت الجماعة، تجاذبنا مع ذلك المدرس محادثة خاصة، فاستجلينا من خلالها: أنه **الشيخ محمد الصالح بن الشايب** العدل بالمحكمة القضائية.

ومما جرى في خاتمة المجلس لفظ: «منطاد»، فقلنا: هو الآلة التي تطير في الهواء المسماة بالبالون، وهو لفظ عربي، في «القاموس»: الانطياد: الارتفاع في الهواء صعداً، والمنطاد: البناء المرتفع.

ويوجد في هذه البلد مدرس آخر، وهو **الشيخ عبد المجيد**، كنت في السنة الفائتة أتيت المسجد الذي يدرس فيه «المختصر الخليلي»، وقد سبقت لنا معرفته **بالحاضرة**، فرحب بنا، وأحسن لقاءنا، ثم سعى بنا إلى محل الدرس، فجلس عن يسارنا، وشرع في تقريره بطريقة مقتصدة خالية عن التطويل، بعيدة عن الاختصار، وطالعُ الدرس: قول صاحب المختصر: «وعفى عما يعسر»، وبأثر انقضائه عقدنا معهم المسامرة، اشتمل غالبها على تفسير قوله تعالى: ((وما كان المؤمنون لينفروا كافة))[التوبة: ١٢٢].الآية. وعلقنا عليها ما حضرنا في فضل التعليم والتعلم.

***تبسة:**

وفي الساعة الخامسة صباحاً، سافرت إلى «**تبسة**»، فوصلنا بعد مسير القطار نحو خمس ساعات، وبعد أن أزحنا بالاستراحة ما سامنا من عناء السفر، خرجنا نتدرج بأنحاء البلاد إلى أن استقصينا غالب مناهجها جولاناً، وألفيناها منفوضة الجراب من آثار التعليم، سوى أن بعض المتخرجين **بالجامع الأعظم** [1] من أهالي الجريد يجاور بها نحو خمسة أشهر في السنة، يلقي فيها دروساً من الكتب الابتدائية.

وبعد صلاة التراويح، زرنا جماعة من أعيان تجارها لهم عناية أكيدة بالمسائل التي تعرض لهم في أمور التجارة، وهو من أعظم الأدلة على متانة الديانة، والتوقي من الشبهات، منها قول بعضهم: «وما تقولون في رجل اقترض مالاً من عند آخر، واشترى به أشياء تجب فيها الزكاة، وعنده ملك آخر يفي بخلاص ذلك الدين، فهل تجب فيها الزكاة فيما اشتراه بمال القرض إن مرّ عليه الحول، أو لا تجب؛ لأنه مدين؟».

[1] – جامع الزيتونة بتونس.

فكان الجواب: أن المدين الذي لا تجب عليه الزكاة هو الذي ليس له من الملك ما يسد به خلة ما عليه من الدين، أما إذا كان مالكاً لما يجعله في مقابلة ذلك الدين، فلا يعد الدين مُسقطاً للزكاة كما في «الموطأ».

***عين البيضاء:**

ومن الغد قصدت «**عين البيضاء**» في الساعة السادسة مساءً، فركبت عربة يجرها أربعة جياد؛ لعدم ارتباط البلدتين بسكة الحديد، فوصلنا في الساعة الخامسة صباحاً، وبعد أن أخذنا سنة من النوم، أفاضت علينا من الاستراحة شيئاً يسيراً، وفد علينا بعض أهل العلم، مثل: **الشيخ محمد العربي بن قشوط، والشيخ المسعود بن علي، والشيخ أحمد بن ناجي**، فاستنارت صدورنا تأنساً بمحاورتهم العلمية في سائر ذلك اليوم.

ومن المسائل التي طرحت بيننا: مسألة الفرق بين الكل والكلية، فقررنا أن قوله صلى الله عليه وسلم: «كل ذلك لم يكن» لما قال له ذو اليدين: أقصرت الصلاة يا رسول الله أم نسيت؟ هو من باب الكلية، لا من باب الكل كما يقول بعض المصنفين؛ بدليل قول ذي اليدين: قد كان بعض ذلك يا رسول الله، وقوله في الرواية الأخرى: « ما قصرت الصلاة، وما نسيت». وإن المعنى: كل ذلك لم يكن في ظني، فيكون مطابقاً للواقع والاعتقاد، ولا داعي إلى تأويل الحديث بتوجيه النفي إلى المجموع، بل لا يصح تخريجه على ذلك.

وبعد الصلاة التراويح، دعانا **الشيخ أحمد بن ناجي** إلى المسجد الذي يدرِّس فيه «المختصر الخليلي»، فلما وافينا المسجد، وجدناه غاصاً بتلامذة ذلك الدرس وغيرهم، ففسحوا لنا مقعداً في المحراب، ثم قام رجل منهم، ووزع أجزاء نسخة قرآن على الحاضرين، وهذه عادتهم في كل ليلة جمعة، وبعد ختامها انتدب منا ذلك الشيخ أن نذاكرهم بتقرير بعض الأحاديث، فوقع اختيارنا على حديث: «سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل . . الخ» الحديث، فأملينا بعض ما نعهده في شرحه، وأسبغنا المقال في شأن التوادد والتعاون عند قوله: «ورجلان تحابا في الله، اجتمعا على ذلك، وافترقا عليه»، وشاهدنا من الحاضرين رغبة مفرطة، وإقبالاً زائداً على تلقي التعاليم الدينية.

***قسنطينة:**

بارحت «عين البيضاء» في الساعة السادسة صباحاً، فوصلنا «**قسنطينة**» بعد مسير الرتل ست ساعات تقريباً، وأعدنا الاستطلاع على بعض معالمها الدينية، وآثارها القديمة والحديثة. بهذه المدينة مدرسة إسلامية معدة لتخريج القضاة والعدول، وثلاثة جوامع تقام فيها الجمعة: **الجامع الكبير، والجامع الأخضر**، والآخر يسمى: **بجامع سيدي الكتاني**، وفي هذا الجامع منبر من الرخام مرقوم فيه بيت من الشعر يتضمن اسم مؤسسة، وتاريخ تأسيسه، وهو:

بـنى منـبراً بـالعزّ والنصـر صـالح . لـه سـبل الخـيرات تاريخـه رشـد[1]

[1]- كلمة رشد مجموع حروفها بحساب الجمل عند المغاربة يساوي: ر= 200+ ش= 1000+د= 4=1254هـ.

وأسس **الجامع الأخضر** سنة 1256هـ، وبها **مكتبة عمومية** تحتوي على عدة من الكتب المطبوعة المتداولة. والتقينا بأشهر علمائها **الشيخ حمدان بن الونيسي** الذي كان زار الحاضرة منذ عهد قريب. والعالم **الشيخ أحمد بن الحبيباتني**، وهو رجل عليه سمة أهل الخير والصلاح، ولما حان وقت العشاء، ذهبت إلى **الجامع الكبير**، وبعد انقضاء الصلاة، رأيت جماعة مستديرة في جانب من الجامع، والناس يستبقون نحوها زمراً، فأخبرني بعض من معي بأن **للشيخ حمدان** درساً في التفسير، فدنوت منه، وأصغيت إليه، فإذا هو يقرئ في قوله تعالى: ((ما ننسخ من آية))[البقرة: ١٠٦] الآية. بتفسير الخازن.

وبعد أن تم الدرس، تقدم إلينا بعض الطلبة الذين سبقت لهم بنا معرفة مسترشداً عن مسائل، منها: كيف يجمع بين قوله تعالى: ((واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة))[الأنفال: ٢٥]، وقوله تعالى:((ولا تزر وازرة وزر أخرى))[الأنعام:١٦٤]؟

فكان الجواب: أن الله لا يؤاخذ أحداً بزلة أحد، وإنما يستحق العقوبة صاحب الذنب، إلا أن الله فرض على كل مسلم رأي منكراً أن يغيره، فإذا لم يفعل ما استطاع من تغييره، وسكت، كان عاصياً، فينخرط مع صاحب الذنب في العقوبة، أحدهما بفعله، والآخر برضاه. قال تعالى: ((كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه))[المائدة: ٧٩].

واجتمعنا بأحد الثقات من بلد «**المسيلة**»، فحكى لنا أن بعض الطلبة في تلك الجهة يعمل في صيامه بقواعد الحساب، وتارة يؤم الناس في صلاة العيد وهو صائم، فقلنا: ورد قوله صلى الله عليه وسلم: «فإذا غمّ عليكم، فاقدروا له»، فذهب مطرف بن عبد الله أحدُ التابعين إلى أنّ معنى «اقدروا له»: أحسبوا له بحساب المنجمين، واستدل بقوله تعالى: ((وبالنجم هم يهتدون))[النحل: ١٦].

والحق أن معنى «اقدروا»: أكملوا العدد ثلاثين، بدليل رواية: «فإن غمّ عليكم، فأكملوا العدد ثلاثين»، ثم إن الشرع مبني على ما تعلمه الجماهير، وأمر الحساب لا يعرفه إلا قليل من الناس، ولو كان الحساب طريقاً يعتد به في ثبوت الشهر، لعلّمه النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة كما كانوا يعلمون أوقات الصلوات، ويرد استدلال مطرف: بأن المراد من الآية: الاهتداء في طريق البر والبحر.

يبلغ عدد سكان هذه **المدينة** نحو 55 ألف نسمة، نصفهم من المسلمين، وأربعة آلاف من اليهود، والباقي من الإفرنج.

***باتنة:**

ثم التقيت **بابن عمنا الشيخ الحسن**، فربطنا النية على المرافقة في السفر، فتوجهنا إلى «**باتنة**»، فوصلنا في الساعة الثامنة مساء، وبعد أن وضعنا أوزار الأتعاب، تجولنا في شوارعها، فإذا هي فسيحة العرض، متناسقة البناء، منورة بالكهرباء، وفي أثناء المطاف قال لي رفيقنا المذكور: إني أعرف هنا رجلاً من أهل العلم والأدب، فقلت: تلك الضالة التي

ننشدها في مثل هاته الليلة، اسع بنا أن نروح الخواطر بأسماره. فمضينا حتى انتهينا إلى محل معدّ للتجارة، فوجدنا جماعة جالسين على شكل نصف دائرة، فلما رأونا، انتفضوا قائمين، وعلى وجوههم نضرة البشر والابتهاج، وعلى تحيتهم طلاوة الأدب واللطافة، فكان ذلك براعة استهلاك لما ينبغي ملاحظته في ذلك المنتدى، واتفق أن كان من زمرة هؤلاء الفضلاء: الشيخ **أحمد البوعوني** المشار إليه، **والشيخ إبراهيم بن السلمي**، ولكل منهما فصاحة منطق، وسجية نزاعة للأدب، ولأولهما شعر جيد، فقضينا في السمر مقدار ثلاث ساعات، كانت لتلك الليلة نطاقاً جميلاً. ولما أزمعنا الانصراف، ووقفنا موقف الوداع، تكدرت خواطرهم؛ لانصداع إيوان تلك المؤانسة، وتقطع أسبابها، فألقوا على مسامعنا عبارات يتمشى التحسر والتأسف في مناكبها، فقلنا لهم: العود أحمد، وأنشدنا لهم:

لا تـــأس يـــا قلـــب مـــن وداعٍ فإن قلب الوداع عادوا .

.

***عاصمة الجزائر:**

وفي الساعة الخامسة صباحاً تحرك بنا القطار من «باتنة»، ولم يزل يخبُّ ويضع، ويحمل ويضع، حتى ضرب سواد الليل أطنابه، وفي الساعة الثامنة أشرفنا على **عاصمة الجزائر**، فتراءت لنا مصابيح أنوارها بمنظر أنيق، وأشكال متناسقة، وذلك لأن المدينة قائمة على أكمة مرتفعة يبتدئ العمران من أعلاها، ثم يمتد متدلياً إلى حافة البحر، فيبصر الداخل عند استقبال شوارعها المنورة، وهي طبقات بعضها فوق بعض، رونقاً مليحاً.

وبعد أن اصطفينا محلاً لمقامنا ووضع متاعنا، وتناولنا من الراحة جزءاً يسيراً، تكفأنا نجول في بعض النواحي، فالتقينا **بالسيد علي بن الحداد** أحد أعيان تجارها الأفاضل، فبسط علينا من الحفاوة والترحاب رداء ضافياً، ولهذا الفاضل محل تجاري يتسامر فيه جماعة من أعيان العلماء والفضلاء، تعارفنا مع بعضهم في تلك الليلة.

ومن الغد تشرفنا بزيارة **الولي الصالح الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي**[1](1)، وزرنا بإزائه **المدرسة الثعالبية** التي تم بناؤها في هذه السنة، وافتتحت باحتفال رسمي يوم الاثنين 17 أكتوبر، وأسست هذه المدرسة لتعليم الوطنيين العلوم العقلية والنقلية، ومنها يتخرج القضاة والعدول، ثم بعد الزوال بساعة، ذهبت إلى **الجامع الجديد، ويقال له: الجامع الصغير**، فوجدت العلم الفاضل **الشيخ بوقندورة المفتي الحنفي** جالساً في زاوية منه، وحوله جماعة من الطلبة على شكل دائرة يتناوبون سرد «صحيح الإمام البخاري» واحداً بعد واحد، والشيخ مصغ إليهم، فإذا ناب أحدهم خطأ، استرده إلى ما هو الصواب، وهذه عادتهم في سائر أيام رمضان.

[1]- من كبار علماء الجزائر، ولد عام 1376م، وتوفي بها عام 1468م. من مؤلفاته: «الجوهر الحسان في تفسير القرآن».

وبعد صلاة الظهر تنقلنا إلى الجامع الكبير، فالتقينا **بالشيخ عبد الحليم بن سماية**، فغمرنا بنفحات خلقه الناضر، واختلب ألبابنا بفصاحة لسانه الساحر، ولم نلبث معه عند هذه الملاقاة إلا مدة قصيرة لأمر عارض حال بيننا وبين استطالة الجلسة.

وفي ذلك اليوم دعانا السيد **علي بن الحداد** لزيارة .. وقت الغروب، وبعد أن تناولنا معه الفطور، توجهنا إلى ضريح **الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي**، بقصد الحضور بدرس **الشيخ علي ابن الحاج موسى**، فمكثنا غير بعيد حتى دخل الشيخ وهو محفوف بسكينة ووقار، وجلس بالمحراب، ثم رفع يديه بقراءة الفاتحة قبل افتتاح الدرس، وبعد ذلك أخذ في تقرير مبحث: صفة الكلام من كتاب «الصغرى» للشيخ السنوسي بصوت جهور، فوضّح معناها، ثم أقام عليها الدليل ثانياً، وتعرض في أثناء ذلك إلى جلب مسائل لها تتعلق بالمبحث؛ كتنبيه على أن الحدوث الذي وصف به القرآن في بعض الآيات؛ كقوله تعالى: ((ما يأتيهم من ذكر من ربّهم محدث))[الأنبياء: ٢] هو عائد إلى الألفاظ التي نتلوها، لا إلى المعنى الذي هو قائم بالذات العلية.

ومما يدل على صلاح حال هذا الرجل، وصفاء سريرته: أنه ما جرى ذكر النبي صلى الله عليه وسلم على لسانه إلا ارتعد صوته، وفاضت دموعه، ثم أقيمت صلاة العشاء، فتقدم ذلك الشيخ وصلى بالجماعة إماماً، وقرأ في الركعة الأولى سورة القارعة، فلما بلغ إلى قوله تعالى: ((وما أدراك ما هيه)) [القارعة: ١٠] أخذته عبرة شديدة. وسمعته يجهر بالتأمين بعد الفاتحة في الصلاة، فعجبت من مخالفته للرواية المشهورة، وهي عدم تأمين الإمام في الجهر، وبلغني أنه خوطب في ذلك، فأجاب بأنه يختار رواية المدنيين؛ لترجحها بالحديث الصحيح. يريد بذلك قوله – عليه الصلاة والسلام –: «إذا أمّن الإمام، فأمنوا» وهو ظاهر في تأمين الإمام في الصلاة الجهرية، والمتمسكون برواية البصريين المشهورة يؤولون «أمن» على: بلغ موضع التأمين؛ كأنجد: إذا بلغ نجداً؛ بدليل حديث: «إذا قال الإمام: ولا الضالين، فقولوا: آمين»، ولعل الشيخ ممن يستبعد ذلك التأويل، ولا يرى الحديث الأخير ظاهر الدلالة على عدم تأمين الإمام.

وعرجنا في إيابنا على محل **السيد أحمد بن مراد** المعد لبيع الكتب، فالتقينا **بالشيخ محمد بوشنب أحد المدرسين بالمدرسة الثعالبية**، فأخذنا معه أطراف محاورة أطلعتنا على ماله من النباهة التامة، والتفقه في الأمور الحديثة، زيادة عما له من التفنن. ثم انصرفنا، وصحبنا أحد الفضلاء فذكر لفظ «مجلة»، فاستنبأنا عن معناه لغة، فسقنا إليه عبارة «القاموس»: مجلة –بالفتح–: الصحيفة فيها الحكمة، أو كل كتاب.

وفي اليوم الثاني من أيام إقامتنا، دعانا **الشيخ عبد الحليم بن سماية** إلى زورة محله في الساعة الخامسة مساءً، وكان منزله في أقصى المدينة وأعلاها، فصعدنا إليه على السيارة الكهربائية، سارت بنا في خطها الحديدي نحو 20 دقيقة، ووقفت أمام **ضريح الولي الكامل الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن الأزهري** المتوفي سنة 1208 هـ، فنزلنا هناك، ووجدنا **الشيخ عبد الحليم** في انتظارنا، فذهب بنا إلى داره، وارتقى بنا إلى طبقتها العليا، وتنفست مدة المسامرة، فتواصلت حلقاتها نحو ست ساعات.

جرتنا المناسبة إلى الخوض في شؤون المدرسين، فقلنا: ليس المدرس حقيقة من يلقى المسائل على حسب ما تحويه الأوراق جيدها على رديها من غير أن يعرضها على محك النقد، ويزنها بمعيار النظر؛ فإن من المسائل ما لم تحط التآليف بتحقيقاتها واستخراج خباياها، فقال لي الشيخ: مثال ذلك من فن البيان: الاستخدام؛ فإن البيانيين يعدونه من المحسنات المعنوية، ولا يبينون كيف حسنه إلى المعنى، ثم استرسل في بيان رجوعه إلى المعنى بكلام يشهد لصاحبه بسلامة الذوق، والولوع بالكشف عن أسرار المسائل، دون الاكتفاء بتصوراتها المجردة، ثم استطردنا أن الاستخدام لا يختص بالضمير كما نص عليه الشهاب الخفاجي في «حواشي البيضاوي»، بل يكون بغيره؛ كالاستثناء؛ نحو: أبدأ حديثي ليس بالمنسوخ إلا في الدفاتر، والتمييز نحو: (أختِ الغزالة إشراقاً وملتفتاً)، والعطف، وعليه خرج قوله تعالى: ((ولا جنبا إلاّ عابري سبيل))[النساء: ٤٣]. فالمراد من الصلاة: معناها الشرعي، ووقع عطف ((ولا جنبا))[النساء: ٤٣]. باعتبار معناها المجازي، وهو المسجد. وأطلعني على صدر مقالة له فصيحة المباني، شريفة الموضوع، مفرغة في قالب الإنشاء العصري، ووعدنا بإرسالها عند استكمالها.

وكان هذا الفاضل زار الحاضرة قديماً، وأقام بها نحو ثمانية أيام أخذ فيها «المقولات العشر» تدريساً عن **الشيخ محمد بن عيسى الجزائري** – رحمه الله –والتقينا بالعالم الشهير **الشيخ عبد القادر المجاري** بعد شهودنا مجلس درسه «جوهرة التوحيد» **بمسجد سيدي محمد الشريف**، فحيانا بتحيات أكدت للتعارف القديم ميثاقاً، وصبّت علينا شيمه الشريفة من المؤانسة كأساً دهاقاً، وحينما عزمنا على الانصراف، أخذ علينا عهداً على تجديد الزيارة في الليلة القابلة، فعقبنا ذلك العهد بالوفاء، وبعد صلاة التراويح ذهب الشيخ ونحن في صحبته إلى جامع الشريف، وأقرأ به درسه الاعتيادي من «الأربعين النووية» في مجمع عظيم من الخاصة والعامة، وكان حديث تلك الليلة: «الدين نصيحة»، ثم عدنا إلى السمر، ومعنا جماعة من التلامذة.

نستحسن من دروس هذا الشيخ اقتصاره في كل فن على تقرير مسائله التي يشملها موضوعه، وعدم خلط بعضها ببعض. وقد كنت – عافاكم الله– ممن ابتلي درسه باستجلاب المسائل المختلفة الفنون، وأتوكأ في ذلك على أدنى مناسبة، حتى أفضى الأمر إلى أن لا أتجاوز في الدرس شطر بيت من ألفية ابن مالك – مثلاً–، ثم أدركت أنها طريقة منحرفة المزاج، عقيمة عن الإنتاج، ونرجو أن تكون توبتنا من سلوكها توبة نصوحاً.

ولهذا الشيخ خلق عظيم نحمده عليه، وهو سلوكه في معاملة التلامذة طريقاً وسطاً، لا ينحط عن مكانة عزة النفس، ولا يرتفع عن ساحة التواضع، تحمله عواطف النسب العلمي على العناية بشؤونهم، وبذل التوسع في قضاء مآربهم، ويصده علو الهمة عن مجاراتهم فيما يزري بخطته الشريفة.

أأغرسه عزاً وأجنيه ذلة إذاً فاتباع الجهل قد كان أحزما

ولعل هذا الخلق الذي لا ينبل الرجل إلا به، هو الذي غرس له في قلوب الجمهور مودة واحتراماً. وغالب القضاة وعدول المملكة الجزائرية تخرجوا على يديه؛ لأنه كان يدرّس بقسنطينة أيضاً سنين متطاولة.

وشهدت مجلس ختم العالم الفاضل **الشيخ السعيد** لصغرى السنوسي **بجامع سيدي رمضان**، بحضرة جماعة من العلماء، وجمّ غفير من غيرهم، فقرع الأسماع بمواعظ الحسنة، ونصائح مفيدة، ودبجها بمسائل شتى من النحو والبيان والبديع، وساق في أثنائها أحديثها فضل التسمية باسمه صلى الله عليه وسلم «محمد».

وفي صبيحة تلك الليلة اجتمعنا ببعض المنتسبين للعلم، فسألنا عن رتبة تلك الأحاديث، فقلنا: قد نقلها جماعة من المحدثين، ولم يتعقبوها بشيء، وإلى ذلك استند الشيخ في إيرادها، ثم ذكرها له ما نعهده لملاَّ علي قاري في شأنها، وهو: من علامات وضع الحديث مناقضته لما جاءت به الشريعة مناقضة ظاهرة، ومن ذلك أحاديث من اسمه محمد أو أحمد، وإن كل من تسمّى بهذا الاسم لم يدخل النار، فهذا يناقض ما علم من الدين: أن النار لا يجار منها بالأسماء والألقاب، وإنما النجاة منها بالإيمان والأعمال الصالحة.

واجتمعنا **بالعالم البارع محمد بن مصطفى خوجة** بدكان **السيد أحمد بن مراد**، فمد علينا من الملاطفة رواقاً، وفتح علينا رياض أنس كانت مغلقة أبوابها إغلاقاً، فنظم في سلك المسامرة فرائد، وأنشدنا من بنات أفكاره قلائد، ثم ختمنا بالتعريج على ما هو الأحسن في طرق التعليم، فأبديت ما نراه الطريقة المثلى في هذا الموضوع، خلاصته: هو أن الرتبة الابتدائية والرتبة الوسطى، ينبغي للمعلّم الاقتصار فيها على تقرير المسائل مجردة عن ذكر الخلافات، والأدلة الطويلة الذيل، حتى إذا اقتصر المتعلم على إحدى الرتبتين، أو عاقته دون الترقي لما بعدها عوائق، فقد نول ما فيه كفاية من غير أن يخفق مدة من حياته فيما لا فائدة فيه لمثله.

أما المرتبة العليا التي لا يقصدها إلا من طمحت همته إلى أن يكون عالماً معلّماً، فلا بد فيها من تتبع عروق المسائل، واستقصاء آثارها، وحث مطية الفكر في أنجادها وأغوارها، على شريطة أن لا يلتفت المعلم إلى المباحث المتعلقة بعبارات المصنفين؛ لأنها داعية إلى خلط الفنون بعضها ببعض من غير كبير فائدة، والاشتغال بتحرير أصل من أصول العلم وصناعتها أفيد للطالب وأجدى، ويستغنى في تقوية الملكة وتشحيذ الذهن بالمباحث المتعلقة بنفس المسائل.

ودعانا **السيد مصطفى بن الأكحل** إلى منزله، وهو من أفاضل القوم، لا يحل بالبلد غريب، ولاسيما إن كان من أهل العلم، إلا وأكرم مثواه، وأحسن ضيافته، وحضر تلك المأدبة جماعة من أعيان العلماء؛ مثل: **العالم الفاضل الشيخ بوقندورة، والشيخ عبد الحليم، والشيخ محمد بن مصطفى خوجة**، فنصحوا بماء لطافتهم عن صدورنا وحشة الاغتراب، وتساقط من بين مذكراتهم العلمية ما تلذه عيون الألباب.

وجرت بمناسبة قول بعض الجماعة: أنا لا آكل لحماً، وقد آكل حوتاً، مسألة: من حلف أن لا يأكل لحماً هل يحنث بأكل الحوت أو لا؟ فقال أولئك السادة: لا يحنث؛ رعاية للعرف بمقتضى المذهب المتمسكين به مذهب أبي

حنيفة، فسقنا نحن ما نقله ابن كمال باشا في «تفسيره» من أن سفيان الثوري أنكر ذلك على أبي حنيفة محتجاً بآية: ((ومن كلّ يأكلون لحما طريا))[فاطر: ١٢].

فقال أبو حنيفة لرجل: اسأل سفيان عمن حلف لا يجلس على بساط، وجلس على الأرض، هل يحنث أم لا؟ فإن قال: لا يحنث، فقل له: قال تعالى: ((الأرض بساطا))[نوح: ١٩]، فلما سأله وأجابه بعدم الحنث، وأورد عليه الآية، علم أن ذلك تلقين من أبي حنيفة. وذهب المالكية إلى الحنث؛ تمسكاً بالآية، وهو عند تحقق العرف بعدم تسمية الحوت لحماً مشكل لقاعدة: أن العرف مقدم على القصد اللغوي، ولم يحضرني حينئذ إلا أنه فرع مشهور بني على قول ضعيف، وهو أن المقصد اللغوي يقدم على العرف، أو العمل بقاعدة: أن الحنث يقع بأقل الوجوه؛ بخلاف البر، فقاعدته: أنه لا يقع إلا بأكمل الوجوه، فمن حلف ليسافر، لا يبر في يمينه إلا إذا سافر مسافة القصر، وإن سمّي ما دونها سفراً عرفاً ولغة، ومن حلف لا يسافر، حنث بسفره دون مسافة القصر.

وبعد طي بساط ذلك المجلس، ذهبنا إلى **المسجد الذي أسسه السيد مصطفى بن الأكحل**، فشهدنا مجلس ختم **الشيخ عبد الحليم** لكتاب في التوحيد لا أتذكر الآن ما هو؛ لأن الشيخ إنما قرر ما يتعلق بسورة الإخلاص، وبيّن كيف ينتزع منها العقائد الدينية بطريقة استحسنتها جداً، حتى إني كنت من المحرضين له على إقراء درس في التفسير زيادة عما هو بصدد إقرائه مثل درس السعد على «التلخيص».

ثم عدنا إلى السمر، وتناولنا أطراف البحث في مسائل، منها: مسألة اشتراط الولي لعقد النكاح المرأة، فأفادنا **الشيخ محمد بن مصطفى خوجة**: أن أبا يوسف، ومحمد بن الحسن يقولان باشتراط الولي، وهو قول عامة الفقهاء، وأسند ذلك إلى «عقود الجواهر المنيفة»، ثم مال بنا الكلام إلى أن الواجب على العلماء أن يسعوا في بيان أحكام الشريعة، وبث تعاليمها في صدور الناس، وإن يسألوا عن ذلك.

فنقل لنا ذلك الشيخ ابن العربي ما يؤيد هذا، وهو أن المسائل الدينية يجب على العالم تعليمها، ولو بدون سؤال، بخلاف غيرها، فلا يطالب بتعليمها إلا عند السؤال.

وأخذ الجماعة في استحسان السفر، وبيان فوائد الرحلة، فقلنا: تأييد ذلك: أن ابن العربي بعد أن حقق إباحة الاستياك للصائم بالنقل عن القاضي سيف الدين في كتاب «العارضة»، قال: ويوم حصلت هذه المسألة، قلت: الحمد لله الذي أفادني هذه الرحلة، وعلمت أني لو لم أحصل غيرها، لكفتني.

وقال في «الأحكام» عند قوله تعالى: ((فلمّا تغشّاها حملت حملا خفيفا))[الأعراف: ١٨٩]: اختلف علماؤنا في راكب البحر، هل حكمه حكم الصحيح، أو الحامل؟ فقالابن قاسم: حكمه حكم الصحيح، وقال الأشهب: حكمه حكم الحامل إذا بلغت ستة أشهر، وابن القاسم لم يركب البحر، ولو عاين ما يشاهده المسافر فيه، لكان رأيه كرأي الأشهب.

والتقينا **بالفاضل البارع السيد يوسف بن سماية**، فوقفنا معه موقف التسليم والوداع أمداً لم يتجاوز 20 دقيقة، وقد لاح لنا على خطاباته ملاطفة جميلة تشف عن جودة فكرة، وحلاوة في الأخلاق.

استطلع رأينا في تفسير قوله تعالى((شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن))[البقرة: ١٨٥] على معنى: ابتدئ فيه نزول القرآن، فقلنا: ذلك التفسير صحيح، ونسبه المفسرون إلى ابن إسحاق، والأحاديث الدالّة على إنزال القرآن واحدة إلى سماء الدنيا، وإن كانت صحيحة، لا يتعين حمل الآية على معناها.

ودفعتنا المناسبة إلى الكلام على العمل بالحديث الضعيف، فقلنا: قال الفقهاء: إن الحديث الضعيف لا يعمل به في أحكام الحلال والحرام مطلقاً، ويعمل به في الفضائل الأعمال بثلاثة شروط: أن لا يكون شديد الضعف،ولا يعتقد العامة نبوته؛ لئلا ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقله، وأن يتدرج بمعناه تحت قاعدة كلية من قواعد الشريعة.وذهب أبو بكر بن العربي إلى أن الحديث الضعيف لا يعمل به مطلقاً.

وسامرنا بـ **دكان السيد علي بن الحداد الشيخ مصطفى بن الطالب أحد علماء تلمسان**، والمتولي خطة الفتوى **بصور الغزلان**، وكان له ميل شديد إلى المباحثات العلمية، ويحب التطلع على علل المسائل، وربما هجم على إبداء ما يلوح له من ذلك.

حاول في أثناء المذاكرة أن يفرق بين الكفارة والحدِّ في عرف الشريعة؛ بأن الكفارة تستعمل في عقوبة ما هو حق لله، والحد يطلق على عقوبة ما فيه حق لمخلوق، فنازعه بعض الحاضرين بأن عقوبة الزنى تقع على ما هو حق لله، وتسمى حداً، فقلنا: إن كثيراً من الفقهاء يطلقون القول بأن الحق في الزنى لله، ويبنون على هذا: أنه إن تاب، برئت ذمته، والتحقيق أن لأقارب المرأة المزني بها في ذلك حق أيضاً؛ لما يلحقهم من العار وهتك الحرمة، وذلك مما لا تغفره التوبة؛ كسائر الحقوق المتعلقة بالمخلوقين، والأمثل أن يقال: إن الحدود تستعمل في العقوبات الخالصة، والكفارة يغلب إطلاقها على الطاعات التي تقع في مقابلة جناية.

وانجر بنا البحث إلى مسألة تقديم الكفارة على الحنث، وذكر الخلاف في أجزائها، فقلنا: ذهب أبو حنيفة إلى أن سبب الكفارة هو الحنث، وعليه فلا يجزي التكفير قبله، ورأى أن الكفارة بدل عن البر، فلزم أن يكون موضعها عدم المبدل منه، وذهب مالك إلى أن سبب الكفارة هو اليمين، والدليل عليه قوله تعالى: ((ذلك كفّارة أيمانكم إذا حلفتم))[المائدة: ٨٩].

فإن المعاني إنما تضاف إلى أسبابها، وعليه، فيجزي التكفير، ولا يلزم عليه تقدم الحكم على شرطه؛ لأن الحنث إنما هو شرط في انحتام الكفارة من غير تخيير، لا شرط في أصل وجوبها، وحدثنا الشيخ مصطفى المذكور: أنه كان قرر دروساً بمحضر بعض الإفرنج، وقال في خلاله: إن العرب هم سكان الحاضرة وإن كانوا أعاجم، والأعراب هم سكان البادية، وإن لم يكونوا من العرب، فعارضه بعض الحاضرين بأن المتعارف: أن العرب اسم الجيل المخصوص، سواء سكنوا

البادية، أو الحاضرة، والأعراب اسم لمن يسكن البادية من ذلك الجيل، فطالعنا وقتئذ بعض كتب اللغة، فعثرنا فيها على شبهة فيما قرره الشيخ في «المصباح»: وأما الأعراب –بالفتح–، فأهل البدو من العرب، الواحد أعرابي، وزاد الأزهري فقال: سواء كان العرب، أو من مواليهم، قال: فمن نزل البادية، وجاور البادين وظعن بظعنهم، فهم أعراب، ومن نزل بلاد الريف، واستوطن المدن والقرى العربية وغيرها ممن ينتمي إلى العرب، فهم عرب، وإن لم يكونوا فصحاء، وذكر حديث: «أحب العرب لثلاث: لأني عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنة عربي».

فقال الشيخ مصطفى: هذا الحديث تكلم فيه. بيان ما أشار إليه: أن الحديث رواه البيهقي في «الشعب»، والحاكم في «المستدرك»، والطبراني في «معجمه»، وكلهم من طريق يحيى بن بريد، وهو ممن يروي المقلوبات، وضعفه أحمد وغيره، وتابع يحيى على رواية هذا الحديث محمد بن الفضل ابن عطية،ومحمد بن الفضل متفق على ضعفه واتهامه بالكذب، فلا يصح للمتابعات، ولكن للحديث شاهد رواه الطبراني في «معجمه الأوسط» من رواية شبل بن العلا عن أبيه عن جده، عن أبي هريرة، مرفوعاً: «أنا عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنة عربي». وهذا الحديث ضعيف فقط، لا صحيح، ولا موضوع، ولا يثبت به أن كلام أهل الجنة عربي؛ إذ الأحاديث الضعيفة لا يكتفي بها في العلميات.

وزرنا **المكتبة العمومية**، فرأينا فيها عدة من الكتب الغريبة؛ مثل: «القبس على موطأ مالك بن أنس»، «وترتيب المسالك على موطأ مالك »، هجت أسفاً على أني لم أتمكن من زيارتها إلا في آخر يوم من أيام إقامتنا، حتى إني لم أستوف مطالعة أنموذج الكتب بتمامه[1].

[1]– لم ينشر الإمام تتمّة الرحلة في مجلة "السعادة العظمى"؛ لتوقفها عن الصدور، ولم نعثر عليها في مجلات أخرى، أو بين أوراقه. ومن خلال مطالعاتي لمجلدات مجلة "الهداية الإسلامية"، وجدت في العدد السابع من المجلد الحادي وعشر (ص: 582)، وتحت عنوان : "الشيخ الأخضري صاحب السلم والجوهر المكنون" ما كتبه الإمام: ".. هو من علماء بلاد الجزائر، ولد سنة عشرين وتسعمائة، وبلغ من السنّ اثنين وثلاثين سنة، بالوقوف على التاريخ معاينة، وأظنّه توفي سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة، وقبره اليوم مشهور، ويزار في "بنطيوس"، وهي قرية من بلدة بسكرة، من عمل الجزائر". اطّلعنا على هذا في نسخة محفوظة من شرح الشيخ "محمد بن محمد بن علي بن موسى الشغري الجزائري" للجوهر المكنون. وقد وقفت على قبره في القرية المذكورة في بعض رحلاتي إلى بلاد الجزائر..".
ملاحظة: هذا الشرح يؤكد أنّ الإمام "محمد الخضر حسين" زار الجزائر عدّة مرات، وأنّه زار ولاية "بسكرة"، و"طولقة"، التابعة لها، وهي مكان ولادة والده "الحسين"، وجدّه "علي بن عمر". ولكن تتمّة الرحلة – للأسف – لم نقع عليها. ذكرت هذه الملاحظة ردّا على همسات في الجزائر:"لماذا لم يقم الإمام بزيارة موطن آبائه وأجداده؟".

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم: رواية ورش

1- المصادر الأساسية:

1. **حسين**: محمد الخضر حسين: موسوعة الأعمال الكاملة، (الرحلات)، جمع وتوضيب: علي الرضا الحسيني، منشورات دار النوادر، بيروت، ط.1، 2010.

2- المراجع العربية القديمة:

2. **خلدون**: ابن خلدون عبد الرحمن: المقدمة، تح: عبد السلام الشدّادي، خزانة ابن خلدون، بيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء، المغرب، ط.1، 2005.
3. **عسكري**: أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1986.
4. **منظور**: ابن منظور: لسان العرب، تح: يوسف خياط، دار صادر، بيروت، ط.3 ، 1414هـ.

3- المراجع العربية الحديثة:

5. **بكر**: أسماء أبوبكر: ابن بطوطة (الرجل والرحلة)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 1992.
6. **حفناوي**: أبو القاسم الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، طبع بمطبعة بيير فونتانة الشرقية في الجزائر، (1324 هـ - 1906 م).
7. **حليفي**: شعيب حليفي: الرحلة في الأدب العربي (التجنس ، آليات الكتابة ، خطاب المتخيل) ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2002.

8. **حمداني**: حميد لحميداني: بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط.3، 2000.

9. **سعد**: أبو القاسم سعدالله: تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط.1، 1998.

10. **شامي**: صلاح الدين الشامي: الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية، منشأة المعارف، الاسكندرية، ط.2، 1999.

11. **ضيف**: شوقي ضيف: الرحلات، دار المعارف، القاهرة، ط.1، (د. ت، ط).

12. **كيايطو**: عبد الفتاح كيليطو: الحكاية والتأويل (دراسات في السرد العربي)، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط.1، 1988.

13. **مرتاض**: عبد مالك مرتاض: في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، دار عالم المعرفة، الكويت، ديسمبر 1998.

14. **مهدي**: شعيب محمد المهدي: أم الحواضر في الماضي والحاضر تاريخ مدينة قسنطينة، مطبعة البعث، الجزائر، 1980.

15. **مودن**: عبد الرحيم مودن: أدبية الرحلة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط.1، 1996.

16. **مواعده**: محمد مواعده: محمد الخضر حسين (حياته وآثاره)، الدار الحسينية للكتاب، الجزائر، ط.2.

17. **موافي**: ناصر عبد الرزاق موافي: الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، دار النشر للجامعات، مصر، ط.1، 1995.

18. **نويهض**: عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر (من صدر الإسلام حتى عصر الحاضر)، مؤسسة نويهض للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط. 2، 1980.

19. **يقطين**: سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت، ط.3، 1997.

4- المجلات والدوريات

20. **توزاني**: خالد التوزاني: الأمن الروحي في الرحلات المغربية الصوفية، مجلة تاريخ العلوم، جامعة فاس، المملكة المغربية، العدد الرابع، 2003.

21. **مرزوق**: أبو بكر مرزوق: الرؤية الرحْلة عند الشيخ محمد الخضر حسين الجزائري، مجلة علوم اللسان، مخبر علوم اللسان، كلية الآداب واللغات، جامعة الأغواط، ع.3، جوان 2013

5- رسائل جامعية:

22. **بديرينة**: خولة بديرينة: إسهامات النخبة الجزائرية الثقافية محمد بن أبي شنب أنموذجا (1869-1929)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تخصص التاريخ المعاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2013/2012.

23. **حسني**: عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف في الجزائر (منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى)، دار الخليل القاسمي، ط1، جامعة ورقلة، 2005.

24. **روباش**: جميلة روباش: أدب الرحلة في المغرب، رسالة دكتوراه، إشراف الدكتور: أمحمد بن لخضر فوار، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015/2014.

25. **سعيد**: محمد الحاج سعيد: مساجد القصبة في العهد العثماني (تاريخها ودورها وعمارتها)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإنسانية تخصص الحضارة الإنسانية، جامعة الجزائر، 2014 – 2015.

26. **غريسي**: أحمد غريسي: محمدحمدان الونيسي ودوره في بعث الفكر التحرري الوطني في الجزائر (1856- 1920م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر، جامعة العربي التبسي- تبسة، 2016.

6- المكتبة الالكترونية:

27. **عبيد**: مصطفى عبيد: الروافد الفكرية للشيخ عبد القادر المجاوي (وأثرها في توجهه وجهوده من أجل نهضة الجزائر 1870 – 1914م) ينظر الرابط:

.http://labs.univ-msila.dz/lerra2

الفهرس

الفهرس

المحتوى	الصفحة
شكر و عرفان	
الإهداء	
المقدمة	**أ – ب**
المدخل:جنس الرحلة، تعريفها، و أنواعها، و أدبيتها	
1– في مفهوم الرّحلة	**04**
1-1الرّحلة في اللغة	**04**
1-2الرّحلة في الاصطلاح	**04**
2– أنواع الرحلات	**06**
2-1 الرحلة الدينية	**05**
2-2 الرحلة العلمية	**05**
2-3 الرحلة الرسمية	**06**
2-4 الرحلة التجارية	**06**
3– أدبية الرحلة	**08-06**
الفصل الأول: أدب الرحلة عند الشيخ الخضر	
تمهيد	**10**
1/ترجمة الشيخ الخضر حسين الجزائري	**15-10**
2/ماهية الرحلة عند الشيخ الخضر(مفهومها– مقاصدها)	**20-15**
3/أنواع الرحلة عند الإمام الخضر	**20**
1/3 الرحلة السياسية	**20**
2/3 الرحلة القومية	**20**
3/3 الرحلة السفارية	**20**
4/3 الرحلة السياحية	**20**
5/3 الرحلة العلمية	**21**

4/ رحلات الشيخ الخضر	**22**
1/4 الرحلة الجزائرية	**22**
2/4الرحلة التركية	**22**
3/4الرحلة المشرقية	**22**
4/4الرحلة الألمانية	**22**
الفصل الثاني:بنية المضمون في الرحلة	
تمهيد	**24**
1- أماكنُ وردت في الرحلة	**25**
1-1 في مدينة سوق أهراس	**25**
1-2 في مدينة تبسة	**25**
1-3 في مدينة عين البيضاء	**25**
1-4 في مدينة قسنطينة	**26**
1-4-1 المعالم المذكورة في مدينة سوق قسنطينة	**26**
1-4-2 الجامع الكبير	**26**
1-4-3 الجامع الأخضر (أو جامع سيدي الأخضر)	**26**
1-4-4 جامع سيدي الكتاني	**27**
1-5 في مدينة باتنة	**27**
1-6 في مدينة الجزائر العاصمة	**27**
1-6-1 ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي	**27**
1-6-2 المدرسة الثعالبية	**27**
1-6-3 الجامع الجديد	**27**
1-6-4 الجامع الكبير	**28**
1-6-5 ضريح الشيخ عبد الرحمن الأزهري (**1715 – 1793**)	**28**
1-6-6 مسجد محمد الشريف	**28**

1-6-7 المكتبة العمومية	**28**
ملاحظة: المحلات التجارية و البيوت	**28**
أ/محل أحمد بن مراد (دكان لبيع الكتب)	**29**
ب/محل علي بن الحداد (محل تجاري)	**30**
ج/محل مصطفى بن الأكحل (منزل العائلة)	**30**
2- أشهر الرجال الذين وردوا في الرحلة	**30**
2-1 الشيخ عبد القادر مجاوي (**1848- 1913**)	**30**
2-2 الشيخ عبد الحليم بن سماية(**1866 – 1933**)	**31**
2-3 محمد بن مصطفى خوجة (**1865- 1915**)	**32**
2-4 الشيخ محمد بن أبي شنب (**1869 – 1929**)	**32**
2-5 الشيخ أحمد الحبيباتي	**32**
2-6 الشيخ حمدان الونيسي (**1856 – 1920**)	**33**
2-7 الشيخ أحمد البوعوني	**33**
2-8 الشيخ بوقندورة المفتي الحنفي	**33**
3- قيم واردة في الرحلة	**34**
3-1 قيم ذاتية	**34**
3-2 قيم دينية	**34**
3-3 قيم قومية	**34**
3-4 قيم وطنية	**34**
3-5 قيم اجتماعية	**35**
3-6 قيم سياسية	**35**
3-7 قيم تربوية	**35**
3-8 قيم علمية	**35**
3-9 قيم ثقافية	**35**
3-10 قيم أدبية	**35**

الفصل الثالث: بنية الشكل في الرحلة	
تمهيد	**37**
1-زمنية الرحلة	**38**
1-2 تمظهرات الزمن في الرحلة	**38**
1-2-1 الاسترجاع الزمني	**38**
1-2-2 التسريع الزمني، باستخدام تقنية (الخلاصة)	**38**
1-2-3 التعطيل الزمني، باستخدام تقنية "المشهد"، و"الوقفة"	**39**
1-2-3-1 المشهد	**39**
1-2-3-2 الوقفة	**40**
2-فضائية الرحلة	**40**
أ-الفضاء الفيزيقي	**40**
ب- الفضاء التلفظي	**40**
ج-الفضاء النصي	**40**
د-الفضاء الثقافي	**40**
هـ-الفضاء المتخيّل	**41**
2-1 المكان في الرحلة	**41**
2-2 أنماط المكان في الرحلة الجزائرية	**41**
2-2-1 المكان الطبيعي	**41**
2-2-2 الفضاء الثقافي	**41**
3- فواعل الرحلة	**42**
3-1 بنية الرحلة الجزائرية من حيث الفواعل	**42**

3-2 شخصيات الرحلة	**43**
3-2-1 الشخصية المركزية :الشيخ الخضر حسينالذات الفاعلة للرحلة	**44-43**
3-2-2الشخصيات الثانوية	**45**
4- الرؤية الرحلية	**46**
4-1 الرؤية من الخلف	**46**
4-2 الرؤية مع	**46**
4-3 الرؤية من الخارج	**46**
5- لغة الرحلة	**47**
5-1 اللغة التقريرية	**47**
5-2 اللغة السردية	**48**
5-3 اللغة الوصفية	**49**
5-4 اللغة التصويرية	**50**
5-5 اللغة البلاغية	**51**
الخاتمة	**54**
ملحق الدراسة	**57**
قائمة المصادر و المراجع	
ملخص	

ملخصات

ط. الباحث: هاجر بن قطاس **أ. المشرف: د. أبو بكر مرزوق**

الملخص العربي

موضوع الرسالة: (الرحلة الجزائرية "1904" للشيخ محمد الخضر حسين).

حيث يتناول النص وفق أبعاد ثلاثة:

1- أدب الرحلة عند الشيخ الخضر، معرض للرحلة الجزائرية.

2- بنية المضمون في الرحلة، من خلال تناول: الأمكنة، والأعلام،والقيم.

3- بنية الشكل في الرحلة، من خلال تناول: الزمن، والفضاء، والفواعل، والرؤية، واللغة.

الكلمات المفتاحية: أدب الرحلة – محمد الخضر حسين – الرحلة الجزائرية – الزمن السرد – دلالة المكان – الرؤية السردية – السارد – الشخصية.

Résumé :

Thème de la thèse: (voyage en Algérie du Cheikh Mohammed Al-Khader Hussein "1904").

le sujet de la thèse se présente en trois étapes :

1 – La littérature de voyage qui relate les différents déplacements du Cheikh en Algérie.

2 - Structure du contenu de voyage, des lieux visités, des différentes personnalités culturelles (hommes de lettres, théologiens), et valeurs.

3 - Structure formelle du voyage, analyse de temps, de l'espace, de l'action, la vision, et le coté linguistique.

Mots-clés: Littérature de voyage - Mohamed El Kheder Hussein - Voyage algérien - Narration du temps - sanguification des lieux - Vision narrative - narrateur - personnage.